الطمـــأنينة فـي القــرآن الكـــــريم
دراسة موضوعية

د. حسن علي منبع الشهراني

قسم القرآن وعلومه –كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد– المملكة العربية السعودية

المُلخَص

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فقد تناولت الدراسة موضوع: "الطمأنينة في القرآن الكريم " وذلك بتتبع الآيات التي وردت فيها لفظة الطمأنينة بصيغها المتعددة، ومعانيها المتنوعة، وكيفية تحقيقها في حياة الإنسان، مع التركيز على بيان أسبابها وثمراتها كما جاءت في القرآن الكريم، وقد توصلت الدراسة إلى أن الطمأنينة في القرآن نوعان: محمودة ومذمومة، وأن للحصول على المحمودة خمسة أسباب تم ذكرها في المبحث الأول، وأن لها ثمرات عدة أهمها أربع ثمرات مرتبطة بشتى المجالات في حياة الإنسان وتمت دراستها في المبحث الثاني من هذه الدراسة، كما توصلت إلى خمس نتائج تضمنتها خاتمة البحث. وقد أوصت الدراسة الباحثين بمزيد عناية بالتفسير الموضوعي وتسليط الضوء على الموضوعات المتعلقة بحياة الإنسان ودراستها في ضوء القرآن الكريم. وصلى الله وسلم على النبي وآله وصحبه أجمعين.

الكلمات المفتاحية: القرآن، الطمأنينة، السكينة، الأمن، تفسير موضوعي.

مُقَدِمَةٌ :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن كل إنسان في هذه الحياة يسعى بكل ما أوتي للحصول على السعادة ، وإن من أعظم ما يحقق السعادة للإنسان أن يجد الطمأنينة وراحة البال، وإن من نعم الله –تعالى- على عباده المؤمنين أن دلّهم في كتابه الكريم على كيفية تحقيق هذه الطمأنينة في شتى مجالات الحياة ومن ذلك بيان أسبابها وثمراتها.

وبما أننا في هذا العصر الذي كثرت فيه ضغوطات الحياة، مما قد يجعل الإنسان يفتقد لهذه الطمأنينة، ويقع فريسة للقلق والاضطراب وعدم الراحة والاستقرار؛ مما يعكر عليه حياته ويجعله في نكد وشقاء؛ فقد عزمت –مستعيناً بالله تعالى- أن أكتب بحثاً في هذا الموضوع في ضوء القرآن الكريم، وجعلت عنوانه: "الطمأنينة في القرآن الكريم – دراسة موضوعية" سائلاً الله –تعالى- أن أكون قد وفقت في تناول هذا الموضوع، ولمّ شتاته، وجمع متفرقه، وتحقيق المقصود منه في هذا البحث، والله الموفق والمعين.

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتجلى أهمية الموضوع وأسباب اختياره في النقاط التالية:

١) كثرة الآيات القرآنية التي جاء فيها الحديث عن الطمأنينة بمعانيها المتنوعة، وصيغها المتعددة؛ فقد وردت في ثلاثة عشر موضعاً، في اثنتي عشرة آية، من إحدى عشرة سورة.

٢) أن في هذا الموضوع وأمثاله ربطاً للمسلم بالقرآن الكريم؛ فيجد فيه أسباب سعادته ونجاته في الدنيا والآخرة.

٣) أن الطمأنينة مطلوبة لكل إنسان حتى يستطيع أن يعيش حياته في سعادة وراحة بال.

٤) أن في هذا الموضوع إبرازاً لفضل الله –تعالى- على عباده بأن أنعم عليهم بهذه النعمة في مجالات حياتهم المتعددة.

٥) أن في هذا الموضوع وأمثاله تربية للناس، وربطاً لهم بمحبة خالقهم –جل وعلا-، واللجوء إليه، والاعتماد عليه في كل ما يعتريهم في حياتهم.

ثانياً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والسؤال لم أعثر على بحث مستقل في نفس الموضوع، ولكن وجدت دراستين لهما تعلق به، إحداهما أثناء تناولي لدراسة الموضوع، والأخرى بعد الفراغ من دراسته وهما:

١) بحث بعنوان: "السكينة والطمأنينة في القرآن الكريم – دراسة دلالية" للباحث: م.م. صلاح الدين سليم مُحَمَّد؛ مدرس مساعد في فرع السياسة العامة – كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، منشور بمجلة كلية العلوم

الإسلامية، المجلد السادس، العدد الثاني عشر، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م. وهو يختلف عن دراستي هنا أنه عبارة عن دراسة دلالية تقوم على التحليل اللغوي للفظتي السكينة والطمأنينة في القرآن، وبعض الألفاظ الدالة عليها كالإخبات والهون والوقار، بينما دراستنا هذه دراسة موضوعية تقوم على استعمال أسلوب التفسير الموضوعي في تناول موضوع الطمأنينة في القرآن الكريم بحسب السياق في الآيات، والتقسيم الموضوعي لها.

٢) بحث بعنوان: "السكينة ونظائرها في القرآن الكريم – دراسة موضوعية" للباحث: محمود مُحَمَّد خاص، وهو عبارة عن رسالة ماجستير مقدمة لقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين، بالجامعة الإسلامية – غزة – عام ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

وقد ذُكرت الطمأنينة في المبحث الأول من الفصل الثاني الذي عنوانه: "نظائر السكينة في القرآن الكريم" وتم تناول دراستها في أربعة مطالب:

الأول: مفهوم الطمأنينة.

والثاني: مشتقات كلمة طمأنينة في القرآن.

والثالث: ورود كلمة طمأنينة في القرآن الكريم.

والرابع: درجات الطمأنينة.

فكانت دراستها مختصرة كمبحث ضمن فصل من هذه الرسالة، ودراستنا هذه تختلف عنها في التركيز على الطمأنينة، والتوسع في دراستها، وتقسيمها إلى مباحث ومطالب عدة، مع ربط ذلك بجوانب مهمة من الحياة الواقعية لاسيما المعاصرة في حياة الإنسان، مع ملاحظة أنني لم أطلع على هذه الرسالة إلا بعد الفراغ من البحث ، ومع ذلك طالعتها وقارنت بينها وبين هذا البحث فظهر لي وجود فروقات وإضافات كثيرة يضيفها هذا البحث لما سبق.

ومن خلال النظر في الدراستين فإن ما ورد فيها لا يتجاوز ما نسبته ٣٠% من دراستنا هذه وتناولنا لموضوع الطمأنينة من كافة جوانبه ونواحيه، مما دفعني إلى الاستمرار في العمل على نشره لعل الله ينفع بما فيه.

ثالثاً: أسئلة البحث:

هناك عدة أسئلة يحاول البحث الإجابة عنها ومن أهمها:

١) ما معاني الطمأنينة الواردة في القرآن الكريم ؟
٢) ما أهمية الطمأنينة في حياة الإنسان ؟
٣) ما أسباب الحصول على الطمأنينة ؟
٤) ما ثمرات الطمأنينة ؟

رابعاً: أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف من أهمها:

١) تسليط الضوء على سبب من أهم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة وهو الطمأنينة.
٢) الاطلاع على أقوال المفسرين في معاني الطمأنينة الواردة في القرآن الكريم بحسب مواضعها وسياقاتها القرآنية.
٣) معرفة أسباب الطمأنينة وثمراتها كما جاءت في القرآن الكريم.
٤) الإسهام بالكتابة في هذا الموضوع المهم في وقتنا المعاصر.
٥) فتح الباب أمام الأطباء والأخصائيين النفسيين للإفادة مما جاء في كتاب الله -تعالى- أثناء ممارسة مهامهم الطبية والعلاجية لمرضاهم.

خامساً: منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي، الوصفي، كمنهجية بحثية ضمن أسلوب الدراسة الموضوعية وفق الإجراءات التالية:

١) جمع الآيات القرآنية الكريمة التي تتحدث عن الطمأنينة بصيغها المتنوعة، ثم تقسيمها حسب سياقاتها إلى عدة مباحث ومطالب يتم بها الإحاطة بجوانب الموضوع.
٢) عزو الآيات إلى سورها وترقيمها في أصل البحث.
٣) تفسير الآيات الكريمة من خلال:

أ- ذكر سبب النزول إذا وجد.

ب- بيان ما في الآيات من حِكَم، وأحكام، وعبر، وفوائد، تلامس الواقع المعاصر.

٤) الاعتماد في ذكر الأحاديث على الصحيحين أو أحدهما، وإذا لم توجد فيهما؛ فمن غيرهما مع تبيين درجة الحديث بقدر الإمكان.
٥) توثيق المعلومات المنقولة من مصادرها.
٦) محاولة إبراز الجانب الذي يتعلق بالطمأنينة التي وردت في هذا الموضوع.
٧) عدم الترجمة للأعلام تجنباً لإثقال الحواشي.

سادساً: خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس وذلك كما يلي:

المقدمة: وقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وأسئلة البحث، وأهداف البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: تعريف "الطمأنينة والسكينة" والفرق بينهما، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الطمأنينة، ومعناها في الاستعمال القرآني.
المطلب الثاني: تعريف السكينة، ومعناها في الاستعمال القرآني.
المطلب الثالث: الفرق بين الطمأنينة والسكينة.
المطلب الرابع: أنواع الطمأنينة في القرآن الكريم.

المبحث الأول: أسباب الطمأنينة ، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: العلم.
المطلب الثاني: صدق الرسل -عليهم السلام-.
المطلب الثالث: ذكر الله –تعالى-.

المطلب الرابع: إمداد المؤمنين بالملائكة عند القتال.
المطلب الخامس: الأمن في الأوطان.
المبحث الثاني: ثمرات الطمأنينة، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: سلامة إيمان من أكره على الكفر.
المطلب الثاني: إقامة الصلاة.
المطلب الثالث: البشارة بالجنة عند الموت.
المطلب الرابع: إرسال الرسل من البشر.
الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.
الفهارس: وتشمل:
١- فهرس المصادر والمراجع.
٢- فهرس الموضوعات.

وفي الختام أسأل الله –تعالى- أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به، وينفع به من يطلع عليه، وأن يسددني في كل قول وعمل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

تعريف الطمأنينة والسكينة والفرق بينهما

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الطمأنينة، ومعناها في الاستعمال القرآني.
المطلب الثاني: تعريف السكينة، ومعناها في الاستعمال القرآني.
المطلب الثالث: الفرق بين الطمأنينة والسكينة.
المطلب الرابع: أنواع الطمأنينة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: تعريف الطمأنينة، ومعناها في الاستعمال القرآني

أولاً: تعريف الطمأنينة:

أ- لغة: من طمن بزيادة الهمزة، قال ابن فارس:

"الطاء، والميم، والنون: أصيل بزيادة همزة يقال: اطمأن المكان، يطمئن، طمأنينة، وطامنت منه: سكنت"[١]

والطمأنينة والاطمئنان: السكون، واطمأن الرجل اطمئناناً: أي سكن، واطمأن القلب إذا سكن ولم يقلق، واطمأن المكان: إذا ثبت واستقر، واطمأن بالموضع: أقام به، واتخذه وطناً، وموضع مطمئن: منخفض، وطامن الشيء: سكّنه، واطمأن وتطامن يتقاربان لفظاً ومعنى[٢].

وذهب سيبويه إلى أن "اطمأن" مقلوب أصله من "طأمن"، وخالفه أبو عمرو فرأى ضد ذلك[٣] قال ابن عاشور –رحمه الله تعالى-: "والأظهر أن "اطمأن" على وزن "افعلّ" وأنه لا قلب فيه؛ فالهمزة فيه هي لام الكلمة، والميم عين الكلمة، وهذا قول أبي عمرو، وهو البيّن إذ لا داعي إلى القلب فإن وقوع الهمزة لاماً أكثر وأخف من وقوعها عيناً، وذهب سيبويه إلى أن "اطمأن" مقلوب وأصله "اطأمن" وقد سمع "طمأنته" و "طأمنته" وأكثر الاستعمال على تقديم الميم على الهمزة، والذي أوجب الخلاف عدم سماع المجرد منه إذ لم يسمع "طمن""[٤]

ب- اصطلاحاً: عرفها العلماء بعدة تعريفات ومن أبرزها:

١- قال الهروي: "الطمأنينة: سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان".[٥]

٢- وقال الراغب: "هي السكون بعد الانزعاج".[٦]

٣- وقال ابن القيم: "الطمأنينة: سكون القلب إلى الشيء، وعدم اضطرابه وقلقه".[٧]

فهذه من أهم الأقوال في تعريف الطمأنينة، وهي منصرفة إلى المعنى العام للطمأنينة المتعلقة بالنفس والقلب.

وكلها تدور حول السكون، والهدوء، والأمن، وعدم القلق والاضطراب، وهي متوافقة مع المعنى اللغوي للطمأنينة كما سبق.

ثانياً: الطمأنينة في الاستعمال القرآني:

وردت لفظة "الطمأنينة" في القرآن الكريم بصيغها المتعددة في ثلاثة عشر موضعاً، في اثنتي عشرة آية من إحدى عشرة سورة وهي: (البقرة الآية: ٢٦٠ ، وآل عمران الآية: ١٢٦ ، والنساء الآية: ١٠٣، والمائدة الآية: ١١٣، والأنفال الآية: ١٠ ، ويونس الآية: ٧ ، والرعد الآية: ٢٨ مرتين، والنحل الآيتان: ١٠٦ ، ١١٢، والإسراء الآية: ٩٥ ، والحج الآية: ١١، والفجر الآية: ٢٧).[٨]

ووردت على ثلاثة أوجه هي: السكون، والرضى، والإقامة، كما قال الدامغاني –رحمه الله- في "الوجوه والنظائر" قال: "**فوجه منها:** يطمئن: يسكن؛ قوله -تعالى- في سورة البقرة: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] يعني: ليسكن قلبي إذا نظرت إليه.

وكقوله –تعالى- في سورة المائدة : ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ [المائدة: ١١٣] يعني: تسكن قلوبنا إذا رأينا المائدة؛ وكقوله –تعالى- في سورة الرعد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨] أي تسكن قلوبهم. مثلها فيها؛ وكقوله -تعالى- في سورة آل عمران: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٦] يعني: مدد الملائكة يوم أحد، ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ يعني: تسكن قلوبكم؛ نظيرها في سورة الأنفال يوم بدر: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ به قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال: ١٠] تسكن قلوبكم.

---

[١] معجم مقاييس اللغة ٧٨/٢ مادة "طمن".

[٢] انظر: الصحاح ١٥٨/٦ مادة "طمن"، والمفردات في غريب القرآن ص ٣٠٧ ، ولسان العرب ٢٠٤/٨-٢٠٥ مادة: "طمن"، والمعجم الوسيط ص ٥٦٦ مادة: "طمأنه".

[٣] انظر: لسان العرب ٢٠٤/٨ مادة: "طمن".

[٤] التحرير والتنوير ٣٩/٣.

[٥] انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين ٤٠٦/٢.

[٦] المفردات في غريب القرآن ص ٣٠٧.

[٧] مدارج السالكين في شرح منازل السائرين ٤٠٤/٢.

[٨] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٢٨.

والوجه الثاني: اطمأن، يعني: رضي؛ قوله -تعالى- في سورة الحج: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١] يعني: رضي به؛ وكقوله –تعالى- في سورة النحل: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ) [النحل: ١٠٦] أي راضٍ به؛ مثلها في سورة الفجر: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧ ، ٢٨] يعني: الراضية بثواب الله –تعالى-.

والوجه الثالث: اطمأن بمعنى: أقام؛ قوله -تعالى- في سورة النساء: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٣] يقول تعالى: فإذا أقمتم فأقيموا الصلاة يعني: فأقوها؛ وكقوله -تعالى- في سورة بني إسرائيل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ [الإسراء: ٩٥] يعني: مقيمين"[٩]

فهذه المعاني التي أوردها للطمأنينة في الاستعمال القرآني متوافقة تماماً مع المعنى اللغوي للطمأنينة وكذا للمعنى الاصطلاحي؛ فالسكون والرضى والإقامة هي عينها السكون والهدوء وعدم القلق، والإقامة بالمكان، وثباته واستقراره.

فظهر بهذا العلاقة بين معاني الطمأنينة في اللغة والاصطلاح، والاستعمال القرآني الكريم، وأنه استعملها في نفس الاستعمالات اللغوية والمعاني الاصطلاحية.

المطلب الثاني: تعريف السكينة، ومعناها في الاستعمال القرآني

أولاً: تعريف السكينة:

أ- لغة: من مادة "سكن" قال ابن فارس: "السين والكاف، والنون، أصل واحد مطرد يدل على خلاف الاضطراب والحركة".[١٠]

فالسكون ضد الحركة، يقال: سكن الشيء يسكن سكوناً وأسكنه هو وسكّنه غيره تسكيناً إذا ذهبت حركته، وكل ما هدأ فقد سكن كالريح والحر والبرد ونحو ذلك، وسكن الرجل: سكت، والسكينة: الطمأنينة والاستقرار، والرزانة والوقار، والسكون: ثبوت الشيء بعد تحرك.

ويستعمل في الاستيطان نحو: سكن فلان مكان كذا أي: استوطنه، واسم المكان: مسكن والجمع مساكن والسكينة: مفارقة الاضطراب عند الغضب والخوف.[١١]

ب- اصطلاحاً:

عُرفت السكينة اصطلاحاً بعدة تعريفات من أوضحها قولان:

الأول: قال ابن القيم: "هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوة اليقين والثبات".[١٢]

الثاني: قال الجرجاني: "السكينة: ما يجده القلب من الطمأنينة عند تنزل الغيب، وهي نور في القلب يسكن إلى مشاهده ويطمئن".[١٣]

فهذه تعريفات السكينة اصطلاحاً وهي متوافقة مع المعنى اللغوي للسكينة؛ ففيها معاني السكون والهدوء والطمأنينة، وزوال المخاوف والاضطرابات.

ثانياً: الاستعمال القرآني للسكينة:

وردت لفظة السكينة بهذه الصيغة في القرآن الكريم ست مرات في ست آيات من ثلاث سور هي: (البقرة آية: ٢٤٨ ، والتوبة آيتان: ٢٦ ، ٤٠ ، والفتح آيات: ٤ ، ١٨ ، ٢٦)[١٤]، ووردت في القرآن الكريم بمعنيين هما: الطمأنينة، وشيء كرأس الهر له جناحان كما ذكر ذلك الدامغاني –رحمه الله- في "الوجوه والنظائر" وقال:

"**فوجه منها**؛ السكينة: الطمأنينة؛ قوله تعالى في سورة "براءة": ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ [التوبة: ٤٠] يعني: طمأنينته وكقوله -تعالى- في سورة الفتح[١٥]، ونحوه كثير.

والوجه الثاني: السكينة يعني: شيئاً كرأس الهر له جناحان؛ قوله –سبحانه- في سورة البقرة: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨]"[١٦]

والوجه الثاني مروي عن مجاهد –رحمه الله تعالى-.[١٧]

قال الراغب –معلقاً عليه-: "وما ذكر أنه شيء رأسه كرأس الهر فما أراه قولاً يصح".[١٨]

والآيات التي وردت فيها السكينة بهذا المعنى في القرآن الكريم هي:

الأولى:قوله–تعالى-:﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة:٢٤٨].

الثانية: قوله –تعالى- : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

الثالثة: قوله –تعالى- : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠].

الرابعة:قوله –تعالى-: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

---

[٩] الوجوه والنظائر ١/١٢٤-١٢٥.

[١٠] معجم مقاييس اللغة ١/٥٦٤ مادة: "سكن".

[١١] انظر: لسان العرب ٦/٣١١-٣١٦ مادة: "سكن"، والمفردات في غريب القرآن ص ٤٦٩/٤ ، والمفردات في غريب القرآن ص ٢٣٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٣/٢٤٩. ٢٣٦-٢٣٧ ، والمعجم الوسيط ص ٤٤٠ مادة: "سكن".

[١٢] مدارج السالكين ٢/٣٩٧.

[١٣] التعريفات ص ١٢٥.

[١٤] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٣٥٣.

[١٥] قوله –تعالى-: ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ١٨].

[١٦] الوجوه والنظائر ١/٤٥١ .

[١٧] انظر: غريب القرآن المسمى (نزهة القلوب) ص ١٠٨-١٠٩ ، وجامع البيان

[١٨] المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٧ .

الخامسة: قوله –تعالى-: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

السادسة: قوله –تعالى-: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦].

فهذه آيات السكينة وهي كلها تتضمن معاني الجلال والوقار، وثبات القلب عند المخاوف والاضطرابات، وحصول السكون والطمأنينة له.

قال ابن القيم –رحمه الله تعالى- بعد أن أورد هذه الآيات في شرح منزلة السكينة من منازل السائرين إلى الله –تعالى- قال: "وكان شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى- إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة، وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز القلوب عن حملها، من محاربة أرواح شيطانية ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة قال: فلما اشتد عليّ الأمر قلت لأقاربي ومن حولي: اقرأوا آيات السكينة. قال: ثم أقلع عني ذلك الحال وجلست وما بي قَلَبه، وقد جرّبت أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه؛ فرأيت لها تأثيراً عظيماً في سكونه وطمأنينته"[١٩]

المطلب الثالث

الفرق بين الطمأنينة والسكينة

ذكر صاحب "المنازل" الهروي –رحمه الله تعالى- بينهما فرقين هما:

"الأول: أن السكينة صولة تورث خمود الهيبة أحياناً، والطمأنينة سكون وأمن في استراحة أنس.

والثاني: أن السكينة تكون نعتاً، وتكون حيناً بعد حين، والطمأنينة لا تفارق صاحبها"[٢٠]

ثم أضاف ابن القيم –رحمه الله تعالى- فرقين :

"أحدهما: أن ظفره وفوزه بمطلوبه الذي حصّل له السكينة بمنزلة من واجهه عدو يريد هلاكه، فهرب منه عدوه، فسكن روعه، والطمأنينة بمنزلة حصن رآه مفتوحاً فدخله وأمن فيه، وتقوى بصاحبه وعدته، فللقلب ثلاثة أحوال:

أحدها: الخوف والاضطراب والقلق من الوارد الذي يزعجه ويقلقه.

الثاني: زوال ذلك الوارد الذي يزعجه ويقلقه عنه وعدمه.

الثالث: ظفره وفوزه بمطلوبه الذي كان ذلك الوارد حائلاً بينه وبينه.

وكل منهما يستلزم الآخر ويقارن؛ فالطمأنينة تستلزم السكينة لا تفارقها وكذلك بالعكس؛ لكن استلزام الطمأنينة للسكينة أقوى من استلزام السكينة للطمأنينة.

الثاني: أن "الطمأنينة" أعم، فإنها تكون في العلم والخبر به، واليقين والظفر بالمعلوم؛ ولهذا اطمأنت القلوب بالقرآن لما حصل لها الإيمان به، ومعرفته والهداية به...

وأما السكينة فإنها ثبات القلب عند هجوم المخاوف عليه، وسكونه وزوال قلقه واضطرابه، كما يحصل لحزب الله عند مقابلة العدو وصولته والله أعلم" [٢١]

فتحصل هنا أربعة فروق بين السكينة والطمأنينة، ويمكن أن يضاف فرق خامس وهو أن السكينة من المواهب وليست من المكاسب، وإنما ينزلها الله –تعالى- على من يشاء من عباده، وأما الطمأنينة فإنها تكتسب بالعمل وبذل الأسباب للحصول عليها[٢٢] وهو ما سيتبين من خلال هذا البحث بإذن الله تعالى.

المطلب الرابع

أنواع الطمأنينة في القرآن الكريم

الطمأنينة في القرآن الكريم نوعان:

النوع الأول: الطمأنينة المحمودة:

وهي الطمأنينة المطلوبة التي يسعى كل إنسان للحصول عليها، وهي أغلب ما ورد الحديث عنه في القرآن الكريم، وهي المقصودة عند إطلاق الطمأنينة؛ ولذا سيتم تسليط الضوء عليها في بحثنا هذا، والتركيز على معرفة أسبابها وثمراتها.

النوع الثاني: الطمأنينة المذمومة:

وهي التي وردت في القرآن الكريم في سياق الذم لها والتحذير منها، وقد جاءت مقيدة بالاطمئنان إلى الدنيا ، وطمأنينة من يعبد الله على حرف، ووردت في موضعين من كتاب الله -تعالى-:

الموضع الأول : قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ*أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يوسف: ٨ ، ٩].

فهذه الآية الكريمة وصفت هؤلاء الذين لا يرجون لقاء الله –تعالى- لكفرهم وانكارهم الرجوع إليه سبحانه بأربع صفات:

الصفة الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ وفي تفسير هذا الرجاء هنا قولان:

القول الأول: الخوف، أي: لا يخافون البعث؛ لأنهم لا يؤمنون به، وتفسير الرجاء بالخوف جائز كما قال –تعالى-: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] ولذا قال الهذلي : "إذا لسعته النحل لم يرج لسعها".[٢٣]

والقول الثاني: الطمع؛ فقوله –تعالى- : ﴿لا يرجون لقاءنا﴾ أي: لا يطمعون في لقائنا؛ فيكون هذا الرجاء الذي ضده اليأس كما قال –تعالى-: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾

---

[١٩] مدارج السالكين ٣٩٧/٢.

[٢٠] انظر: مدارج السالكين في شرح منازل السائرين ٤٠٦/٢.

[٢١] مدارج السالكين ٤٠٦/٢-٤٠٧ (باختصار).

[٢٢] انظر: مدارج السالكين ٣٩٧/٢.

[٢٣] انظر: مفاتيح الغيب ٢١٠/٦ .

[الممتحنة: ١٣] والأولى حمل الرجاء على ظاهره وهو ضد اليأس أي يطمعون.[٢٤]

الصفة الثانية: من صفات هؤلاء الكفار قوله –تعالى-: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: أنهم اختاروها بديلاً عن الآخرة؛ فعملوا لها ومن أجلها واستغرقوا في طلبها بكل ما أوتوا.

والصفة الثالثة: قوله –تعالى- : ﴿واطمأنوا بها﴾ أي: ركنوا إليها وجعلوها غاية أمرهم ونهاية قصدهم، صرفوا نياتهم وإراداتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها؛ فكأنهم خلقوا للبقاء فيها، وكأنها ليست بدار ممر يتزود فيها المسافرون إلى الدار الباقية؛ فهؤلاء تحصل لهم الطمأنينة في حب الدنيا؛ ولذا لا يتأثرون بإنذار أو تخويف؛ لأنهم قلوبهم صارت كالميتة عند ذكر الله بخلاف أهل الإيمان الذين إذا ذكروا الله حصل لهم الوجل والخوف على حد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ...﴾ [الأنفال: ٢].

والصفة الرابعة: قوله –تعالى-: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ والمراد أنهم صاروا في الإعراض عن طلب لقاء الله –تعالى- بمنزلة الغافل عن الشيء الذي لا يخطر بباله طول عمره ذكر ذلك الشيء.

وبالجملة فهذه الصفات الأربع دالة على شدة بعده عن طلب الاستسعاد بالسعادات الأخروية الروحانية، وعلى شدة استغراقه في طلب هذه الخيرات الجسمانية، والسعادات الدنيوية[٢٥].

فهذه صفات أربع اتصفوا بها وكان عاقبتهم أن مأواهم النار ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والشرك وأنواع المعاصي.[٢٦]

الموضع الثاني: قوله -تعالى-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ﴾ [الحج:١١] وقد اختلف في المراد بهؤلاء الناس تبعاً للروايات الواردة في سبب نزول هذه الآية:

١) فقيل: إن هذه الآية نزلت في أعراب كانوا يقدمون على النبي –ﷺ- بالمدينة مهاجرين من باديتهم فكان أحدهم إذا صح بها جسمه، ونتجت فرسه مهراً حسناً، وولدت امرأته غلاماً، وكثر ماله وماشيته آمن به واطمأن إليه، وقال: ما أصبت في ديني هذا إلا خيرا، وإن أصابه وجع المدينة، وولدت امرأته جارية، أو اجهضت رماكه، وذهب ماله، وتأخرت عنه الصدقة، أتاه الشيطان وقال له: ما جاءتك هذه الشرور إلا بسبب هذا الدين فينقلب عن دينه، فأنزل الله : ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقتادة والكلبي.[٢٧]

٢) وقيل: نزلت في المؤلفة قلوبهم، منهم: عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، والعباس بن مرداس، قال بعضهم لبعض: ندخل في دين مُحَمَّد فإن أصبنا خيراً عرفنا أنه حق، وإن أصبنا غير ذلك عرفنا أنه باطل، وهو قول الضحاك.[٢٨]

٣) وقيل: وهو قول أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه-: أسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وولده، وتشاءم بالإسلام، فأتى النبي –ﷺ- فقال: "أقلني" فقال: «**إن الإسلام لا يقال**» فقال: "إني لم أُصب في ديني هذا خيراً، أُذهب بصري ومالي وولدي" فقال: «**يا يهودي، إن الإسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد والفضة والذهب**» فنزلت هذه الآية.[٢٩]

٤) وقيل: نزلت في المنافقين، وهو مروي عن الحسن.[٣٠]

فهذه الروايات بمجموعها تدل على أن المراد بهم ضعيفوا الإيمان، أو من لم يزل في بداية إسلامه، أو من لم يسلم حقيقة وإنما أظهر الإسلام وأبطن الكفر وهم المنافقون.

وأما المراد بالحرف في الآية؛ فقد قال الرازي –رحمه الله تعالى-: "وفي تفسير الحرف وجهان:

الأول: ما قاله الحسن وهو أن المرء في باب الدين معتمده القلب واللسان فهما حرفا الدين، فإذا وافق أحدهما الآخر فقد تكامل في الدين، وإذا أظهر بلسانه الدين لبعض الأغراض جاز أن يقال فيه على وجه الذم: يعبد الله على حرف.

الثاني: قوله: ﴿عَلَى حَرْفٍ﴾ أي: على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فإن أحس بغنيمة قر واطمأن، وإلا فر وطار على وجهه وهذا هو المراد ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ وهو مثل قوله تعالى: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [النساء: ١٤٣). وكقوله –تعالى-: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ [النساء: ٤١]".[٣١]

"وهذا التعبير الذي وصفهم الله به جاء على أعلى درجات البلاغة، وأصدق التعبير، وأعظم الدلالة، ولذلك أعقبه الله تعالى بقوله: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ ومن كان كذلك فقد خسر الدنيا والآخرة؛

---

[٢٤] انظر: مفاتيح الغيب ٢١٠/٦ .

[٢٥] انظر: مفاتيح الغيب ٢١٠/٦-٢١٢ ، وروح المعاني ٩٨/١١ وتيسير الكريم الرحمن وعزاه إلى ابن مردويه، والحديث ضعف ابن حجر اسناده في الفتح ٢٩٧/٨.

[٢٦] انظر: تيسير الكريم الرحمن ٣٠٥/٢ .

[٢٧] انظر: جامع البيان ٤٧٣/١٦ ، وتفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٢٤٧٧/٨ وأسباب النزول ص ٢٥٤ ، والدر المنثور ٤٢٧/١٠-٤٢٩.

[٢٨] انظر: مفاتيح الغيب ٢٠٨/٧ ، والتحرير والتنوير ٢١٢/١٧.

[٢٩] أورده الواحدي في أسباب النزول ص ٢٥٤ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤٢٨/١٠

[٣٠] انظر: التحرير والتنوير ٢١٠/١٧.

[٣١] مفاتيح الغيب ٢٠٨/٨ (باختصار).

لأنه لم يثبت على عبادة الله، فيكون مؤمناً موقناً، ولم يدرك مراده من الدنيا فخسرها جميعاً"[٣٢]

وقد يرد سؤال وهو: إذا كانت الآية في المنافق فما معنى ﴿انقلب على وجهه﴾ وهو في الحقيقة لم يسلم حتى ينقلب على وجهه ؟

والجواب: المراد أنه أظهر بلسانه خلاف ما كان أضمره فصار يذم الدين عند الشدة، وكان من قبل يمدحه وذلك انقلاب في الحقيقة، كما أن هناك نوعاً من المنافقين آمنوا في أول أمرهم إيماناً حقيقياً ثم انقلبوا على وجوههم وارتدوا وعادوا إلى الكفر، لكنهم أخفوا ذلك فبقوا ظاهراً على إسلامهم بينما هم في الحقيقة قد كفروا وارتدوا...[٣٣]

وبالتالي تنطبق عليهم هذه الآية حينئذ.

فهذا حال هؤلاء، وأنهم يعبدون الله تعالى على قلق واضطراب وعدم ثبات واستقرار بخلاف أهل الإيمان الحق فإنهم على الهدى والحق، ومع ذلك فإنهم يسألون الله -تعالى- دائماً الثبات على دينه؛ ولذا جاء من دعاء أهل الإيمان قوله -تعالى-: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨] وثبت أن النبي -ﷺ- كان يكثر من قوله: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» ولما سئل عن ذلك قال -ﷺ-: «إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء»[٣٤].

ولذا المؤمن بحاجة إلى سؤال الله -تعالى- المزيد من التثبيت والمزيد من الهداية، ففي كل صلاة يقرأ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] في كل ركعة من صلاته.

وذلك لكثرة الفتن التي تعرض للعبد وقد تصرفه عن دينه، أو كثرة الوقوع في المعاصي مما قد يؤدي إلى ضياع الدين، وأن يسلبه العبد عند موته.[٣٥]

المبحث الأول
أسباب الطمأنينة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول
العلم

يعد العلم من أهم أسباب حصول الطمأنينة لابن آدم، وإن من أجل العلوم التي تحققها لقلب العبد المؤمن هو إلمامه بالعلم بالله -تعالى- وأسمائه وصفاته، وأمور الغيب والدار الآخرة؛ فإن الارتقاء في العلم بها يزيد العبد إيماناً وطمأنينة.

ونستحضر في هذا المعنى ما جاء في قول الله -تعالى- عن خليله إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي...﴾ الآية [البقرة: ٢٦٠] قال ابن عاشور -رحمه الله تعالى-: "فإن إبراهيم -عليه السلام- لفرط محبته الوصول إلى مرتبة المعاينة في دليل البعث رام الانتقال من العلم النظري البرهاني إلى العلم الضروري فسأل الله أن يريه إحياء الموتى بالمحسوس...

قال: وقوله: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ معناه: ليثبت ويتحقق علمي وينتقل من معالجة الفكر والنظر إلى بساطة الضرورة بيقين المشاهدة وانكشاف المعلوم انكشافاً لا يحتاج إلى معاودة الاستدلال ودفع الشبه عن العقل ... إلى أن قال : وأراد بالاطمئنان العلم المحسوس وانشراح النفس به، وقد دلّه الله على طريقة يرى بها إحياء الموتى رأي العين..."[٣٦]

فسؤال إبراهيم -عليه السلام- لينتقل من مرتبة علم اليقين إلى عين اليقين؛ فقوله: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي ليزداد طمأنينة وإلا فقد كان مطمئناً، والطمأنينة هي الاستقرار[٣٧] وعدم الاضطراب؛ فالوصول إلى عين اليقين ولا سيما في أمور الغيب وما يتعلق به درجة عظيمة لا يصل إليها كل أحد من بني آدم.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- أن لليقين ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: علم اليقين؛ وهي انكشاف المعلوم للقلب بحيث يشاهده ولا يشك فيه، كانكشاف المرئي للبصر.

المرتبة الثانية: عين اليقين؛ أي مشاهدة المعلوم بالأبصار.

المرتبة الثالثة: حق اليقين؛ وهي أعلى درجات اليقين وهي مباشرة المعلوم وإدراكه الإدراك التام؛[٣٨] فهذه مراتب اليقين الثلاث: علم، وعين، وحق، وكلها في القرآن الكريم:

فمثال علم اليقين: قوله -تعالى-: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر:٥].

ومثال عين اليقين: قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر:٧].

ومثال حق اليقين: قوله -تعالى-: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الواقعة:٩٥][٣٩].

---

[٣٢] تفسير القرآن الكريم للمسند ٢٢٨/٤ .

[٣٣] انظر: مفاتيح الغيب ٢٠٩/٨ وتفسير القرآن العظيم ٢٩٥/١-٣٠٢ .

[٣٤] أخرجه الترمذي في سننه – ك: القدر – باب: ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ٢١٤٠/٣٩٠/٤ وقال: وفي الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة وعبدالله بن عمرو وعائشة، وهذا حديث حسن. وأخرجه ابن ماجه في سننه – ك: الدعاء ، باب: دعاء رسول الله ﷺ ٣٨٣٤/١٢٦٠/٢ بنحوه، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢٢٥/٢/ رقم ١٧٣٩ ، وفي صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٨٣٤ .

[٣٥] كما قال رسول الله -ﷺ-: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا**» أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن ١١٨/١١٠/١ ، وكقوله -ﷺ-: «**إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه**» أخرجه أحمد في مسنده ٣٨١٨/٣٦٧/٦ وقال محققوه: "حديث حسن لغيره" والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع ٢٦٨٧/٥٢٣/١.

[٣٦] التحرير والتنوير ٣٨/٣-٣٩ (باختصار)

[٣٧] انظر: تفسير القرآن الكريم -سورة البقرة- لابن عثيمين ٣٠٠/٣.

[٣٨] انظر: مفتاح دار السعادة ١٧٨/١، والتبيان في أقسام القرآن ص ١١١.

فإبراهيم –عليه السلام- بسؤاله أراد الارتقاء إلى أعلى درجات اليقين وهي أعلى مراتب العلم، وبها تحصل الطمأنينة للسائل؛ ولذا قال: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال البغوي –رحمه الله تعالى- "أي ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة، أراد أن يصير له علم اليقين عين اليقين؛ لأن الخبر ليس كالمعاينة"[٤٠] فمن هنا يتضح سبب سؤال إبراهيم –عليه السلام- وهو الوصول إلى هذه الدرجة العالية، وهو ما ذهب إليه جمهور أهل العلم، وفي ضمنه رد على من قال: إن سؤاله لأنه كان شاكاً في إحياء الله الموتى، وهذا قول مردود.

قال القرطبي –رحمه الله تعالى-: "قال الجمهور: لم يكن إبراهيم –عليه السلام- شاكاً في إحياء الله الموتى وإنما طلب المعاينة؛ وذلك لأن النفوس مستشرفة إلى رؤية ما أُخبرت به ولهذا قال –عليه السلام-: «**ليس الخبر كالمعاينة**» [٤١][٤٢] وأما من ذهب إلى أن السؤال دافعه الشك فإن قوله مرجوح وإن رجحه إمام المفسرين الطبري رحمه الله –تعالى-[٤٣] لكنه مرجوح بل رده ابن عطية –رحمه الله تعالى- بقوله : "وما ترجم به الطبري عندي مردود، وما أدخل تحت الترجمة متأول ... وأما قول النبي –ﷺ-: «**نحن أحق بالشك من إبراهيم**» [٤٤] فمعناه أنه لو كان شاكاً لكنا أحق به ونحن لا نشك ؛ فإبراهيم –عليه السلام- أحرى ألا يشك، فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم، والذي رُوى فيه عن النبي –ﷺ- أنه قال: «**ذلك محض الإيمان**» [٤٥] إنما هو في الخواطر التي لا تثبت ، وأما الشك فهو توقف بين أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر، وذلك هو المنفي عن الخليل –عليه السلام-"[٤٦] فسؤال إبراهيم –عليه السلام- لم يكن شكاً وإنما رغبة في الارتقاء في درجات العلم، وفي الحصول على مرتبة من أعلى مراتب اليقين وهي عين اليقين.

فالعلم والترقي فيه يورث الطمأنينة والسرور وانشراح الصدر للإنسان؛ ولذا نجد أن ابن القيم –رحمه الله تعالى- ذكر أن العلم من أسباب انشراح الصدر فقال: "ثالثاً: العلم؛ فإنه يشرح الصدر، ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم؛ بل العلم الموروث عن النبي –ﷺ- وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدراً، وأوسعهم قلباً، وأحسنهم أخلاقاً، وأطيبهم عيشاً".[٤٧]

قلت: ومن ذلك الشفاء من الوساوس أو تفادي الإصابة بها؛ فقد وقفت على حالات لأناس أصيبوا بالوسوسة في أحكام الطهارة أو الصلاة أو الطلاق والخلط بين الصريح والكناية فيه ... إلى آخره ، وتبين لي أن سبب إصابتهم بتلك الوساوس هو جهلهم بكثير من أحكام الشريعة المتعلقة بتلك المسائل التي أصيبوا بالوسوسة فيها، وأن من وسائل علاج ذلك الناجعة هو العلم الشرعي بتلك الأحكام فإنه يذهب تلك الوساوس ويطردها، وتحصل به الطمأنينة للقلب، والراحة للنفس، والانشراح للصدر؛ فالعلم سبب للراحة والطمأنينة سواء كان علماً شرعياً بأصول الدين وفروعه، أو حتى كان علماً تجريبياً يصل من خلاله صاحبه إلى الوقوف على حقائق الأشياء، وأسرار المعلومات وكلما ازداد المرء علماً كلما ازداد يقيناً وطمأنينة واستقراراً وسعادة وراحة بال، وتخلصاً من الشكوك والوساوس والاضطرابات النفسية والفكرية، والأحكام الخاطئة على الأشياء، وهذا مما قرره ابن الجوزي –رحمه الله تعالى- في كتابه "تلبيس إبليس" حيث قال: "اعلم أن الباب الأعظم الذي يدخل منه إبليس على الناس هو الجهل فهو يدخل منه على الجهال بأمان، وأما العالم فلا يدخل عليه إلا مسارقة، وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين بقلة علمهم؛ لأن جمهورهم يشتغل بالتعبد ولم يحكم العلم..".[٤٨]

المطلب الثاني

صدق الرسل –عليهم السلام-

إن من أسباب حصول الطمأنينة لدى المرسل إليهم صدق الرسل وأنهم رسل الله حقاً؛ ولذا أيدهم الله –تعالى- بالمعجزات التي تثبت صدقهم، وتؤكد أنهم رسل من عند الله –تعالى-؛ فصدق الرسل فيما دعوا إليه وما جاءوا به سبب لحصول الطمأنينة لدى المرسل إليهم، وقد جاء النص على ذلك فيما حكاه الله -تعالى- عن الحواريين أصحاب عيسى بن مريم –عليه السلام- بقوله –تعالى-: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: الآيتان: ١١٢ ، ١١٣].

والحواريون: هم الخلص من الأصحاب،[٤٩] وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: «لكل نبي حواريّ، وحواريّ الزبير بن العوام» [٥٠].

---

[٣٩] انظر: تفسير القرآن الكريم – سورة البقرة- ٣/٣٠٣-٣٠٤.

[٤٠] معالم التنزيل ١/٢٤٧ .

[٤١] أخرجه أحمد في مسنده ٣/٣٤١ رقم ١٨٤٢ وقال محققوه : "حديث صحيح" وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢/٩٤٨ رقم ٥٣٧٤.

[٤٢] الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩٧.

[٤٣] انظر: جامع البيان ٤/٦٣٠.

[٤٤] أخرجه البخاري في صحيحه –كتاب التفسير باب:(وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) ٤/١٦٥٠/رقم ٤٢٦٣، ومسلم في صحيحه –كتاب: الإيمان، باب : زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة ١/١٣٣/١٥١.

[٤٥] أخرجه مسلم في صحيحه –كتاب:الإيمان،باب:بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها ١/١١٩/١٣٢و١٣٣

[٤٦] المحرر الوجيز ٢/٥٠-٥١ (باختصار) وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٣/٢٩٧-٢٩٨.

[٤٧] زاد المعاد في هدي خير العباد ٢/٢٣-٢٨.

[٤٨] تلبيس إبليس ص ١٣٠ .

[٤٩] انظر: تفسير القرآن الكريم – سورة المائدة – ٢/٥٢٠.

[٥٠] أخرجه البخاري في صحيحه –كتاب: الجهاد والسير – باب: فضل الطليعة ١٣/١٠٤٦/٢٦٩١ ، وأخرجه مسلم في صحيحه –كتاب: فضائل الصحابة – باب: من فضائل طلحة والزبير ٤/١٨٧٩/ رقم ٢٤١٥.

وسؤالهم إنزال مائدة من السماء ليس عن شك منهم في قدرة الله – تعالى- واستطاعته على ذلك، وإنما ذلك من باب العرض والطلب منهم لما يصلون به إلى الطمأنينة واليقين بصدق عيسى –عليه السلام- فيما دعاهم إليه مما يثبت الإيمان لديهم، ولما كان سؤال آيات الاقتراح منافياً للانقياد للحق، وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك وعظهم عيسى – عليه السلام- فقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على ملازمة التقوى وأن ينقاد لأمر الله، ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها فأخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم هذا المعنى وإنما لهم مقاصد صالحة[٥١] أجملت في أسباب أربعة:

١) الحاجة الداعية إلى الأكل منها، وقال الماوردي: "نأكل منها أي ننال بركتها لا لحاجة دعتهم إليها، وهذا أشبه لأنهم لو احتاجوا إلى الطعام لم ينهوا عن السؤال".[٥٢]

٢) اطمئنان القلب إلى أن الله –تعالى- بعث عيسى إليهم نبياً.

٣) العلم بأن عيسى رسول الله ، أي ازدياد الإيمان بك، وعلماً برسالتك.

٤) الشهادة أنها آية من عند الله، ودلالة وحجة على نبوتك وصدق ما جئت به.[٥٣]

وقال الماوردي –رحمه الله تعالى-: "وقولهم: ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: تطمئن إلى أن الله –تعالى- بعثك إلينا نبياً.

الثاني: تطمئن إلى أن الله –تعالى- قد اختارنا لك أعواناً.

الثالث: تطمئن إلى أن الله –تعالى- قد أجابنا إلى ما سألنا".[٥٤]

فهذه مقاصدهم، ومنها حصول الطمأنينة لقلوبهم بصدقه فيما جاءهم به ودعاهم إليه؛ قال الثعلبي –رحمه الله تعالى-: " ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ بأنك رسول الله"[٥٥] ، وقال ابن سعدي –رحمه الله تعالى- : "فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت".[٥٦]

وقال الألوسي –رحمه الله تعالى-:" ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عند من لم يحضرها من بني إسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقيناً، ويؤمن بسببها كفارهم، أو من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر، وقيل: من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة"[٥٧] فصدق الرسل في دعوتهم وفيما جاءوا به سبب لحصول الطمأنينة لدى المرسل إليهم وتصديقهم فيما دعوهم إليه.

المطلب الثالث

ذكر الله –تعالى-

إن السعادة تعد المطلب الأهم لكل إنسان في هذه الحياة، والطمأنينة هي العامل الأهم في تحقيق تلك السعادة، وإن من نعم الله –تعالى- على عباده المؤمنين أن أخبرهم بأهم الأسباب لحصول الطمأنينة فقال -سبحانه-: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وفي معنى الطمأنينة والذكر ثلاثة أوجه:[٥٨]

الأول: طمأنينة القلوب بمعنى: زوال الشك عنها تجاه القرآن الكريم، وحصول اليقين والعلم لها بأنه الحق المبين، والمراد بالذكر على هذا هو القرآن الكريم؛ فإن معاني القرآن الكريم تدل على الحق المبين، المؤيد بالأدلة والبراهين، وأما ما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا طمأنينة بها بل لا يزال القلق حاصلاً بها بسبب تعارض الأدلة، وتضاد الأحكام، ووجود الخلاف والاختلاف فيها كما قال –سبحانه وتعالى-: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وأما القرآن فهو منزّه عن ذلك، والذكر من أسمائه كما قال –سبحانه- ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤] وكما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

قال ابن عاشور –رحمه الله تعالى- عن الآية: "استئناف اعتراضي مناسبته المضادة لحال الذين أضلهم الله، والبيان لحال الذين هداهم الله مع التنبيه على أن مثال الذين ضلوا هو عدم اطمئنان قلوبهم لذكر الله وهو القرآن؛ لأن قولهم: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الرعد: ٢٧] يتضمن أنهم لم يعدّوا القرآن آية من الله... وقال في موضع آخر: وافتتحت جملة ﴿ألا بذكر الله﴾ بحرف التنبيه اهتماماً بمضمونها، وإغراء بوعيه وهي بمنزلة التذييل لما في تعريف القلوب من التعميم، وفيه إثارة الباقين على الكفر على أن يتسموا بسمة المؤمنين من التدبر في القرآن لتطمئن قلوبهم، كأنه يقول: إذا علمتم راحة بال المؤمنين فماذا يمنعكم بأن تكونوا مثلهم؟ فإن تلك في متناولكم؛ لأن ذكر الله بمسامعكم"[٥٩] وعلى هذا فالذكر –هنا- هو القرآن، والطمأنينة هي ما يحصل لقلوب المؤمنين به من السكينة والاستقرار، وزوال الشك عنها وحصول العلم لها، والذي يؤدي إلى راحة بالهم بخلاف الكافرين الذين لم يؤمنوا بالقرآن فإنهم لا يجدوا ذلك أبداً.

الثاني: المراد بطمأنينة القلوب: زوال القلق والاضطراب عنها، وحصول الفرح واللذة والسرور لها، والمراد بالذكر –هنا-: هو ذكر

---

[٥١] انظر: تيسير الكريم الرحمن ٥٢٩/١.

[٥٢] النكت والعيون ٨٣/٢.

[٥٣] انظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٦٦/٦، والتفسير المنير ١١٧/٧-١١٨.

[٥٤] النكت والعيون ٨٣/٢ ، وانظر: الجامع لأحكام القرآن ٣٦٦/٦.

[٥٥] الكشف والبيان ٥٥٢/١١ .

[٥٦] تيسير الكريم الرحمن ٥٣٠/١.

[٥٧] روح المعاني ٧٨/٧.

[٥٨] انظر: جامع البيان ٥١٩/١٣-٥٢٩ ومعالم التنزيل ٢٠٢/٥-٢٠٤ ، والتحرير والتنوير ١٣٧/١٣-١٣٨ وتيسير الكريم الرحمن ٤٧١/٢ ، والتفسير المنير ١٦٥/١٣.

[٥٩] التحرير والتنوير ١٣٧/١٣-١٣٨ (باختصار).

العبد لربه –سبحانه- بلسانه من تسبيح وتهليل وتكبير وتحميد وغيره، وذلك لأن إجراء الذكر على اللسان ينبّه القلوب إلى مراقبة الله –تعالى- ومعرفته ومحبته والأنس به، قال ابن سعدي –رحمه الله تعالى- في قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ "أي: حقيق بها وحري أن لا تطمئن لشيء سوى ذكره؛ فإنه لا شيء ألذ للقلوب ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به، ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له يكون ذكرها له، هذا على القول بأن ذكر الله هو ذكر العبد لربه من تسبيح وتهليل وتكبير وغيره"[٦٠]

وقال القرطبي –رحمه الله تعالى- في قوله –سبحانه- ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ "أي: وهم تطمئن قلوبهم على الدوام بذكر الله بألسنتهم".[٦١]

فدوام ذكر العبد لربه –تعالى- بلسانه من أسباب حصول الطمأنينة لقلبه، والأنس والسعادة التي يجدها؛ ولذا فإن ابن القيم –رحمه الله تعالى- عندما ذكر فوائد الذكر التي يحصل عليها الذاكر عد منها:

" أنه يزيل الهم عن القلب، وأنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط، وأنه يورثه حياة القلب، وأنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه، وأنه سبب لنزول السكينة، وأن في القلب خلة وفاقة لا يسدها إلا الذكر، وأن الذكر شفاء القلب ودواؤه، وأن الذكر يُذهب عن القلب مخاوفه كلها، وأن للذكر من الأعمال لذة لا يشبهها شيء"[٦٢]

وغير ذلك من الفوائد ، والتي تبيّن ما يحصل لقلب العبد المؤمن بسبب مداومته على ذكر الله –عز وجل- وكلها تؤدي إلى الطمأنينة التي ينشدها كل إنسان في هذه الحياة الدنيا، وقد دل الله –تعالى- عباده المؤمنين عليها، وكلما كان العبد أكثر ذكراً لله –تعالى- كان أكثر طمأنينة، وراحة، وسروراً، وسعادة في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة.

الثالث: أن المراد بطمأنينة القلوب: حصول السكينة والأنس والرضى واليقين للقلوب بما وقر فيها من نور الإيمان. والمراد بالذكر على هذا : خشية الله –تعالى- ومراقبته، والوقوف عند أمره ونهيه وحدوده، فيشمل أعمال القلوب وأعمال الجوارح، وهذا حال أهل الإيمان، وبالتالي يورث لهم ذلك طمأنينة قلوبهم؛ قال القرطبي –رحمه الله تعالى- : " ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: تسكن وتستأنس بتوحيد الله فتطمئن"[٦٣]، فهم تطمئن قلوبهم بما هم عليه من خشية الله –تعالى- ومعرفته وتوحيده، والامتثال لأوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده بما يورث لقلوبهم الرضى والاطمئنان، والحياة السعيدة في الدنيا والآخرة.

قال ابن سعدي –رحمه الله تعالى- في تفسير قوله -تعالى- : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ " أي: آمنوا بقلوبهم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وصدّقوا هذا الإيمان بالأعمال الصالحة أعمال القلوب؛ كمحبة الله وخشيته ورجائه، وأعمال الجوارح كالصلاة ونحوها ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ أي لهم حالة طيبة، ومرجع حسن، وذلك بما ينالون من رضوان الله وكرامته في الدنيا والآخرة، أو أن لهم كمال الراحة، وتمام الطمأنينة ومن جملة ذلك: شجرة طوبى، التي في الجنة التي يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها، كما وردت بها الأحاديث الصحيحة".[٦٤]

قلت: ومثل هذا قوله -تعالى-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] فحال المؤمن الذي جمع بين الإيمان والأعمال الصالحة حصول الطمأنينة والحياة السعيدة الهانئة في الدنيا والآخرة.

فهذه ثلاثة معان للذكر –هنا- والآية تحتملها، وبهذا نستطيع أن ننوع الذكر إلى ثلاثة أنواع:

الأول: الذكر بمعنى القرآن الكريم خاصة.

الثاني: الذكر باللسان خاصة من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير ونحو ذلك.

الثالث: الذكر بمعنى أعمال القلوب، وأعمال الجوارح.

فيدخل فيه الإيمان بأركانه الستة، وأعمال القلوب من خشية، ومراقبة، ورغبة، ورهبة، وتوكل، ورجاء، وخوف، ويدخل فيه أعمال الجوارح الظاهرة ومنها أركان الإسلام الخمسة من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج، وما يتبع ذلك من أعمال صالحة متنوعة.

وقد تكرر مجيئ المضارع في ﴿تَطْمَئِنَّ﴾ مرتين لدلالته على تجدد الاطمئنان واستمراره، وأنه لا يتخلله شك ولا تردد فهي طمأنينة متجددة مستمرة مستقرة في قلب العبد المؤمن حتى يلقى الله –تعالى-.[٦٥]

مسألة: كيف وصفهم الله تعالى- ههنا- بالاطمئنان بينما وصفهم بالوجل في سورة الأنفال في قوله –تعالى: ﴿إنما المؤمنون الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٣٢] والوجل ضد الاطمئنان ؟.

أورد هذا التساؤل الإمام الرازي –رحمه الله تعالى- وأجاب عنه بقوله:

"والجواب من وجوه:

الأول: أنهم إذا ذكروا العقوبات ولم يأمنوا من أن يقدموا على المعاصي فهناك وصفهم بالوجل، وإذا ذكروا وعده بالثواب والرحمة سكنت قلوبهم إلى ذلك، وأحد الأمرين لا ينافي الآخر؛ لأن الوجل هو بذكر

---

[٦٠] تيسير الكريم الرحمن ٤٧١/٢ .

[٦١] الجامع لأحكام القرآن ٣١٥/٩ .

[٦٢] انظر: الوابل الصيب ٥٣-٩٥.

[٦٣] الجامع لأحكام القرآن ٣١٥/٩.

[٦٤] تيسير الكريم الرحمن ٤٧١/٢ ومن الأحاديث قوله –ﷺ-: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرأوا إن شئتم: (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ)» (الواقعة: ٣٠) أخرجه البخاري في صحيحه ك: التفسير، باب: قوله: (وَظِلٍّ مَمْدُودٍ) (الواقعة: ٣٠) ١٨٥١/٤/ رقم ٤٥٩٩.

[٦٥] انظر: التحرير والتنوير ١٣٨/١٣.

العقوبات والطمأنينة بذكر الثواب، ويوجد الوجل في حال فكرهم في المعاصي، وتوجد الطمأنينة عند اشتغالهم بالطاعات.

الثاني: أن المراد أن علمهم بكون القرآن معجزاً يوجب حصول الطمأنينة لهم في كون مُحَمَّد -ﷺ- نبياً حقاً من عند الله، أما شكهم في أنهم أتوا بالطاعات على سبيل التمام والكمال فيوجب حصول الوجل في قلوبهم.

الثالث: أنه حصلت في قلوبهم الطمأنينة في أن الله -تعالى- صادق في وعده ووعيده، وأن مُحَمَّداً -ﷺ- صادق في كل ما أخبر عنه، إلاّ أنه حصل الوجل والخوف في قلوبهم أنهم هل أتوا بالطاعة الموجبة للثواب أم لا ؟ وهل احترزوا عن المعصية الموجبة للعقاب أم لا ؟"[٦٦].

وهذه الأوجه كلها متحققة في المؤمنين، وهذه أحوالهم مع ما ذكر، وبهذا يزول الإشكال الوارد في التعارض بين الوجل والطمأنينة في أحوال المؤمنين إذ لا تعارض بين اجتماعها فيهم بحسب أحوالهم وحالاتهم التي بيّنها الإمام الرازي -رحمه الله تعالى-.

المطلب الرابع

إمداد المؤمنين بالملائكة عند القتال

تكفل الله -تعالى- بنصر عباده المؤمنين عند ملاقاة أعدائهم في الحروب والمعارك إذا أخذوا بما جعله الله -تعالى- من أسباب ذَكَرها في كتابه الكريم، وبيّنها رسوله الأمين -صلوات الله وسلامه عليه- ومن أهمها:

١- الإيمان؛ قال -تعالى-: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧].

٢- العمل الصالح؛ قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥].

٣- تقوى الله -تعالى-؛ قال -تعالى-: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] أي : معهم بالنصر والتأييد.

٤- الاكثار من ذكر الله -عز وجل-؛ قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

٥- الدعاء؛ قال الله -تعالى-: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

٦- الصبر؛ قال الله -تعالى- : ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥) وقال -ﷺ-: «لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا...» الحديث.[٦٧]

٧- التوكل على الله -تعالى-؛ قال سبحانه- ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقد تجلت عوامل النصر فيما خاضه المسلمون مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من غزوات ومعارك؛ نصرهم الله فيها، وأظهرهم على عدوهم ، ومن عوامل النصر والتأييد إمدادهم بالملائكة وهم من جند الله -تعالى- الذين لا يعصون الله -تعالى- ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن آثار هذا المدد بالملائكة حصول الطمأنينة في قلوب أهل الإيمان عند ملاقاة أعدائهم، وفي أثناء خوضهم للمعارك وقتال العدو، وجاء ذلك في موضعين من سورتين من كتاب الله -تعالى-:

الأول: قول الله -تعالى-: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

والثاني: قول الله -سبحانه-: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠].

فالآيتان الكريمتان تتحدثان عن نعمة الله على عباده المؤمنين عند مواجهتهم لأعدائهم الكافرين في ساحات القتال، ونصره لهم وإمداده لهم بما أمدهم به حتى يتحقق لهم النصر على أعدائهم، وقد جاءت الآية الأولى في سياق الحديث عن غزوة أحد في سورة آل عمران، ثم تذكيرهم بنعمته عليهم في غزوة بدر، والثانية في سياق الحديث عن غزوة بدر في سورة الأنفال، وفي كلا الموضعين يذّكر الله عباده بمنته عليهم، وإمداده لهم بالملائكة، وما ترتب على ذلك من حصول الطمأنينة والاستبشار بنصر الله لهم.

يقول القرطبي -رحمه الله تعالى- : "وغزوة بدر الكبرى هي أعظم المشاهد فضلاً لمن شهدها ، وفيها أمد الله بملائكته نبيه -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين في قول جماعة من العلماء، وعليه يدل ظاهر الآية الأولى لا في يوم أحد، ومن قال: إن ذلك كان يوم أحد جعل

[٦٦] مفاتيح الغيب ٣٩/٧-٤٠ .

[٦٧] أخرجه مسلم في صحيحه – ك: الجهاد والسير ، باب: كراهة تمني لقاء العدو ، والأمر بالصبر عند اللقاء ١٣٦٢/٣ /رقم ١٧٤٢ .

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ إلى قوله ﴿تَشْكُرُونَ﴾ اعتراضاً بين الكلامين هذا قول عامر الشعبي وخالفه الناس... وتظاهرت الروايات بأن الملائكة حضرت يوم بدر وقاتلت"[٦٨]

وقال ابن عاشور –رحمه الله تعالى- : "والبشرى خبر بحصول ما فيه نفع ومسرة للمخبر به ؛ فإن الله لما وعدهم بالنصر أيقنوا به فكان في تبيين سببه وهو الإمداد بالملائكة طمأنة لنفوسهم ؛ لأن النفوس تركن إلى الصور المألوفة، والطمأنة والطمأنينة: السكون وعدم الاضطراب، واستعيرت هنا ليقين النفس بحصول الأمر تشبيها للعلم الثابت بثبات النفس أي عدم اضطرابها، وعطف ﴿ولتطمئن﴾ على ﴿بشرى﴾ فكان داخلاً في حيّز الاستثناء، فيكون استثناء من علل أي: ما جعله الله إلاّ لأجل شيء إلا لأجل أن تطمئن قلوبكم به، وجملة ﴿وما النصر إلا من عند الله﴾ تذييل أي كل نصر هو من الله لا من الملائكة".[٦٩]

وقال ابن عثيمين –رحمه الله تعالى- : "﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ معناه: الاستقرار وعدم القلق، ولاشك أن طمأنينة القلب فيها راحة للنفس، وفيها فتح للتفاؤل والأمل، وفيها ثبات على الأمر بخلاف الإنسان الذي لم يطمئن قلبه فتجده دائماً في قلق وضيق، أما إذا اطمأن قلبه فإن ذلك مما يعينه على التحمل والثبات والصبر".[٧٠]

فهاتان الآيتان جاءتا في معرض الحديث عن نصر الله لعباده المؤمنين، وإمداده إياهم بالملائكة والأثر المترتب على ذلك من حصول البشرى لهم بالنصر، والطمأنينة لقلوبهم، والثبات لهم في مواجهة العدو.

فقد أمد الله –تعالى- المؤمنين بأعداد كثيرة من الملائكة في معركة بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩] ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٣-١٢٥] وقد قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- في يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب».[٧١]

وقد بين الله –تعالى- الحكمة والغاية من هذا الإمداد وهو تثبيت المؤمنين والمحاربة معهم، وقتال أعداء الله وقتلهم بضرب أعناقهم وأيديهم ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الأنفال: ١٠] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال في سورة آل عمران:﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ(١٢٦)لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٦ ، ١٢٧].

وقد وردت روايات عدة في أنهم قاتلوا يوم بدر وغيره[٧٢] ومن ذلك أيضا ما جاء في سورة الأحزاب بشأن غزوة الخندق وإرسال الله الملائكة نصرة للمؤمنين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] والمعني بالجنود التي لم يروها الملائكة كما ثبت في الصحاح وغيرها أن جبريل جاء الرسول –ﷺ- بعد رجوع الأحزاب وعلى ثنايا جبريل النقع –الغبار- وكان الرسول –ﷺ- يغتسل، فقال للرسول –ﷺ- : «أوضعتم سلاحكم فإنا لم نضع سلاحنا بعد؟ فقال: "إلى أين؟" فأشار إلى بني قريظة»[٧٣][٧٤].

المطلب الخامس

الأمن في الأوطان

إن الأمن نعمة عظيمة؛ لأن مقتضاه الأمن النفسي والطمأنينة والسكينة التي يستشعرها الإنسان؛ فيزول عنه هاجس الخوف ويحس بالرضى والسعادة؛ فالأمن سبب للطمأنينة في الأوطان التي هي من أهم النعم التي امتن الله بها على عباده وأمرهم –سبحانه- بالمحافظة عليها، ورعايتها، وشكره عليها، وبيّن ﷻ كيف يكون شكرها، وضرب مثلاً بمن فرّط في ذلك، ومصيره، فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] والمثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجوداً أو لم يكن موجوداً، وقد

---

[٦٨] الجامع لأحكام القرآن ١٩٢/٤ (باختصار).

[٦٩] التحرير والتنوير ٧٨/٤ .

[٧٠] تفسير القرآن الكريم – سورة آل عمران – ١٣٨/٢ .

[٧١] أخرجه البخاري في صحيحه – ك: المغازي – باب: شهود الملائكة بدراً ١٤٦٨/٤ الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم ١٥١٠/٤ / رقم ٣٨٩١ . / رقم ٣٧٧٣ .

[٧٢] كما في الحديث السابق عند البخاري وغيره ، وقد عقد البخاري باب: شهود الملائكة بدراً تحت كتاب: المغازي.

[٧٣] أخرجه البخاري في صحيحه – ك: المغازي – باب: مرجع النبي –ﷺ– من

[٧٤] انظر: عالم الملائكة الأبرار ص ٦٢-٦٣.

يضرب بشيء موجود معين؛ فهذه القرية يحتمل أن تكون شيئاً مفروضاً، ويحتمل أن تكون قرية معينة،[٧٥] ولذا اختلف المفسرون في المراد بالقرية التي ضرب بها المثل هنا:

١- فذهب أكثر المفسرين إلى أنها مكة ، وقالوا: هي كما قال –تعالى- عنها في مواضع أخرى:

أ. قوله -تعالى-: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا...﴾ [القصص: ٥٧].

ب. قوله –تعالى-: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. وغير ذلك.

قال الإمام ابن الجوزي –رحمه الله تعالى- عن هذا القول: "قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والجمهور، وهو الصحيح"[٧٦]

٢- وذهب بعض المفسرين إلى أنه مثل ضُرب لمكة لأخذ العبرة والعظة، قال الرازي –رحمه الله تعالى- : "والأقرب أنها غير مكة ضربت مثلاً لمكة، ومثل مكة يكون غير مكة"[٧٧] أي: أن هذا المثل عبرة لكل قرية، وعلى التخصيص مكة إنذاراً من مثل عاقبتها وهي مثل لكل قوم أنعم الله عليهم، فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا وأنزل الله بهم نقمته.

٣- وقيل: المراد بها المدينة المنورة، وروي هذا القول عن أم المؤمنين حفصة –رضي الله عنها- ؛ قال ابن الجوزي –رحمه الله تعالى-: "فأما ما يروى عن حفصة أنها قالت: هي المدينة، فذلك على سبيل التمثيل لا على وجه التفسير وبيانه ما روى سليم بن عنز قال: صدرنا من الحج مع حفصة، وعثمان محصور بالمدينة، فرأت راكبين فسألتهما عنه فقالا: قتل، فقالت: والذي نفسي بيده إنها للقرية -تعني المدينة- التي قال الله –تعالى- في كتابه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ [٧٨] تعني حفصة: أنها كانت على قانون الاستقامة في أيام النبي –ﷺ- وأبي بكر وعمر –رضي الله عنهما- ﴿فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ عند قتل عثمان – رضي الله عنه ..."[٧٩] فالراجح والصحيح أنها مكة.

"والتعبير عن ضرب المثل الواقع في حال نزول الآية بصيغة المضي للتشويق إلى الإصغاء إليه، وهو من استعمال الماضي في الحال لتحقق وقوعه مثل: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ أو لتقريب زمن الماضي من زمن الحال مثل: قد قامت الصلاة"[٨٠].

وقوله: ﴿آمنة﴾ إشارة إلى الأمن، قال الطبري –رحمه الله تعالى- : "وكان أمنها أن العرب كانت تتعادى، ويقتل بعضها بعضاً، ويسبي بعضها بعضاً، وأهل مكة لا يغار عليهم ولا يحاربون في بلدهم فذلك كان أمنها"[٨١].

ولذا امتن الله –تعالى- على أهلها بقوله –تعالى-: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]، وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. فمكة كانت في أمن وسلامة من تسلط العدو نعمة من الله على أهلها لمحل بيته الحرام.

وأما قوله: ﴿مطمئنة﴾ ففيها إشارة إلى الطمأنينة والاطمئنان، قال البغوي –رحمه الله تعالى- "﴿مطمئنة﴾ قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال للإنتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب".[٨٢]

وفي التفسير المنير: "وقوله: ﴿مطمئنة﴾ إشارة إلى الصحة بسبب طيب الهواء والمناخ"[٨٣]

وقال ابن عاشور –رحمه الله تعالى- "والاطمئنان: الدعة وهدوء البال".[٨٤]

وهذه الأقوال في بيان المراد بالطمأنينة لا تعارض بينها، وكل مفسر أورد معنىً للطمأنينة على سبيل التمثيل والتنويع، فكلها مجتمعة فيما تحقق لأهل مكة بسبب نعمة الأمن التي جعلها الله –تعالى- لهم لو حافظوا عليها ورعوها حق رعايتها، ولم يكفروا بنعم الله عليهم؛ فهم اجتمع لهم النعيم بالأمن والاطمئنان وهما من أعظم النعم التي أنعم الله

---

[٧٥] انظر: مفاتيح الغيب ٢٧٨/٧ ، والتفسير المنير ٢٥١/١٤ .

[٧٦] زاد المسير ٣٦٥/٤.

[٧٧] مفاتيح الغيب ٢٧٩/٧ .

[٧٨] أورده ابن جرير في جامع البيان ٣٨٤/١٤ ، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٢٣٠٥/٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ١٢٨/٩ معزواً إليهما.

[٧٩] زاد المسير ٣٦٥/٤ ، وانظر فيما سبق: جامع البيان ٣٨٢/١٤-٣٨٦ ، ومعالم التنزيل ٨٧/٣-٨٨ ، ومفاتيح الغيب ٢٧٨/٧-٢٧٩ ، وتفسير القرآن العظيم ٣٦١/٨-٣٦٣ ، والتفسير المنير ٢٥١/١٤-٢٥٣ .

[٨٠] التحرير والتنوير ٣٠٤/١٤ .

[٨١] جامع البيان ٣٨٢/١٤ .

[٨٢] معالم التنزيل ٨٧/٣ .

[٨٣] التفسير المنير ٢٥٣/١٤.

[٨٤] التحرير والتنوير ٣٠٥/١٤ .

بها على عباده، وإحداهما مرتبطة بالأخرى؛ فالطمأنينة مرتبطة بالأمن فإنه لا طمأنينة بدون أمن.

قال ابن عاشور –رحمه الله تعالى-: "وقدم الأمن على الطمأنينة إذ لا تحصل الطمأنينة بدونه، كما أن الخوف يسبب الانزعاج والقلق".[٨٥]

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ وهذا من النعيم الذي جعله الله لهم، وهذه الجملة من الآية مثلها قوله –تعالى: ﴿يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص: ٥٧] فهي يحمل إليها رزقها من البر والبحر، ويرد إليها من كل فج من فجاجها، قال الطبري –رحمه الله تعالى- "﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ يقول: يأتي أهلها معايشهم واسعة كثيرة، وقوله: ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ يعني: من كل فج من فجاج هذه القرية، ومن كل ناحية فيها"[٨٦] ولكن أهل مكة قابلوا هذه النعم بالكفران والجحود وأعظمها بعثة مُحَمَّد –ﷺ- فأذاقها الله شدة الجوع والخوف بعد الرفاه والأمن، وأبوا إلا معاندة الرسول –ﷺ- فدعا عليهم بقوله: «اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[٨٧] فأصابتهم سنة أذهبت كل شيء، وابتلوا بالقحط فاضطروا إلى أكل الجيف والكلاب الميتة، والعظام المحرقة، والعلهز: وهو وبر البعير المخلوط بدمه إذا نحروه، حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فيرى شبه دخان من الجوع، ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله –ﷺ- وقالوا: ماهذا؟ هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله –ﷺ – للناس بحمل الطعام إليهم وهم مشركون.[٨٨]

وذكر اللباس؛ لأن ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهرهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم ﴿وَالْخَوْفِ﴾ يعني: بعوث النبي –ﷺ- وسراياه التي كانت تطيف بهم.[٨٩]

وهذه الصفات وإن وصفت بها القرية إلا أن المراد في الحقيقة أهلها؛ لذا قال في آخر الآية: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ قال ابن جرير –رحمه الله تعالى-: "بما كانوا يصنعون من الكفر بأنعم الله، ويجحدون بآياته، ويكذبون رسوله ... وقال: وقد جرى الكلام من ابتداء الآية إلى هذا الموضع على وجه الخبر عن القرية؛ لأن الخبر وإن كان جرى في الكلام عن القرية استغناء بذكرها عن ذكر أهلها لمعرفة السامعين بالمراد منها فإن المراد أهلها فلذلك قيل: ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فرد الخبر إلى القرية..."[٩٠] فالأمن في الأوطان سبب عظيم لحصول الطمأنينة في قلوب أهلها، وراحة بالهم، واستقرار حياتهم، وزوال الانزعاج والمخاوف عنهم.

المبحث الثاني

ثمرات الطمأنينة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول

سلامة إيمان من أكره على الكفر

إن من ثمرات الطمأنينة بالإيمان التي تكون في قلب العبد المؤمن أنه مهما يكره على الكفر؛ فإن ذلك لا يضره بسبب ما قام في قلبه واستقر عليه من الطمأنينة بالإيمان بالله –تعالى- إيماناً حقيقياً لا يتزعزع ولا يتأثر مهما تكون العوائق والصوارف ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦] وهذه الآية متصلة بقوله -تعالى-: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا...﴾ [النحل: ٩١].

قال القرطبي –رحمه الله تعالى-: "قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ هذا متصل بقوله –تعالى-: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ فكان مبالغة في الوصف بالكذب؛ لأن معناه: لا ترتدوا عن بيعة الرسول –ﷺ- أي: من كفر من بعد إيمانه فعليه غضب من الله..."[٩١]

وأما قوله –تعالى-: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ فقد قال ابن كثير –رحمه الله تعالى-: "هو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرها لما ناله من ضرب وأذى وقلبه يأبى ما يقول، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله".[٩٢]

ومما قال الألوسي –رحمه الله تعالى- : "وقوله سبحانه: ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ حال من المستثنى ، والعامل كما في "إرشاد العقل السليم"[٩٣] هو الكفر الواقع بالإكراه لا نفس الإكراه؛ لأن مقارنة اطمئنان القلب بالإيمان للإكراه لا تجدي نفعاً وإنما المجدي مقارنته

---

[٨٥] التحرير والتنوير ٣٠٣/١٤ .

[٨٦] جامع البيان ٣٨٢/١٤ .

[٨٧] أخرجه البخاري في صحيحه – ك: الدعوات – باب: الدعاء على المشركين ٦٠٣٠/٢٣٤٨/٥.

[٨٨] أورده هكذا الطبري في جامع البيان ٣٨٤/١٤-٣٨٦ ، وأخرجه البخاري بنحوه في صحيحه – ك: الاستسقاء، باب: إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط ٩٧٤/٣٤٦/١.

[٨٩] انظر: معالم التنزيل ٨٨/٣ .

[٩٠] جامع البيان ٣٨٦/١٤ .

[٩١] الجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٠ .

[٩٢] تفسير القرآن العظيم ٣٥٧/٨.

[٩٣] انظر: إرشاد العقل السليم ١٤٣/٥.

للكفر الواقع به أي: إلا من كفر بإكراه أو إلا من أكره فكفر والحال أن قلبه مطمئن بالإيمان لم تتغير عقيدته، وأصل معنى الاطمئنان سكون بعد انزعاج، والمراد هنا: السكون والثبات على ما كان عليه بعد ازعاج الإكراه، وإنما لم يصرح بذلك العامل إيماءً إلى أنه ليس بكفر حقيقة"[٩٤]

سبب النزول:

أ- قوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾

قال الكلبي: "نزلت في عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وقيس بن صبابة، وعبدالله بن خطل، وقيس بن الوليد بن المغيرة كفروا بعد إيمانهم".[٩٥]

ب- قوله –تعالى-: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾.

١- روى العوفي عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد –ﷺ- فوافقهم على ذلك مكرهاً، وجاء معتذراً إلى النبي –ﷺ- فأنزل الله هذه الآية.[٩٦]

٢- وعن أبي عبيدة بن مُحَمَّد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا؛ فشكا ذلك إلى النبي –ﷺ- فقال النبي –ﷺ-: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئناً بالإيمان، قال النبي –ﷺ-: «إن عادوا فعد»[٩٧]

٣- ورواه البيهقي بأبسط من ذلك، وفيه أنه سب النبي –صلى الله عليه وسلم- وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه فلما أتى رسول الله –ﷺ- قال: «ما وراءك؟» قال: شر يا رسول الله؛ ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير، قال: «كيف تجد قلبك»؟ قال: مطمئناً بالإيمان، قال: «إن عادوا فعد» وفي ذلك أنزل الله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[٩٨].

٤- وقال الواحدي عن مجاهد: "نزلت في ناس من أهل مكة آمنوا ، فكتب إليهم المسلمون بالمدينة: أن هاجروا إلينا؛ فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا إلينا، فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش بالطريق، ففتنوهم فكفروا مكرهين، ففيهم نزلت هذه الآية".[٩٩]

قال القرطبي –رحمه الله تعالى-: "هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر في قول أهل التفسير؛ لأنه قارب بعض ما ندبوه إليه".[١٠٠]

وقال ابن حجر –رحمه الله تعالى- "والمشهور أن الآية المذكورة نزلت في عمار بن ياسر".[١٠١]

ونزول الآية على سبب خاص لا يعني تخصيصها بمن نزلت فيه بل هي عامة فيه وفي غيره إعمالاً لقاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب".

فدلت الآية على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، وقد أجمع أهل العلم على ذلك أخذاً من هذه الآية الكريمة ومن قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨] ومما ورد في قصة عمار بن ياسر –رضي الله عنهما- وأنه ذكر ذلك للنبي –ﷺ- فصوّبه وقال له: «إن عادوا فعد»[١٠٢] وغير ذلك؛[١٠٣] فطمأنينة القلب بالإيمان، وثباته عليه ينجيه مما قد يعرض له من أمور يكره فيها على الكفر بالله -تعالى- ظاهراً ما دام قلبه مطمئناً بالإيمان، وهذه من أجل وأهم ثمرات الطمأنينة؛ لتعلقها بأصل دين العبد وعقيدته.

المطلب الثاني

إقامة الصلاة

جاء الحديث في القرآن الكريم عن ثمرة من ثمرات الطمأنينة وهي إقامة الصلاة وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وهذه الآية جاءت في سياق الحديث عن صلاة الخوف، وبعض صفاتها، وما يسقط فيها بسبب الخوف من حيث قصر الرباعية، أو سقوط بعض الأركان في حال اشتداد الخوف والتحام القتال حيث يصلون كيفما كان ماشين أو راكبين أو قاعدين كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩].

---

[٩٤] روح المعاني ٦٣٥/١٤.

[٩٥] انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٠.

[٩٦] أورده ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣٥٧/٨.

[٩٧] أورده الطبري في جامع البيان ٣٧٤/١٤ ، وبأبسط منه الواحدي –في أسباب النزول– ص ٢٣١ ، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٣٥٨/٨ قال ابن حجر: "وهو مرسل ورجاله ثقات" فتح الباري ٣٢٧/١٢.

[٩٨] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى – كتاب: المرتد، باب: المكره على الردة[١٠١] فتح الباري ٣٢٧/١٢.
٣٣٩/٨/رقم ١٧٣٧٠ ، وانظر: تفسير القرآن العظيم ٣٥٨/٨ ، والجامع في أسباب[١٠٢] سبق تخريجه ص ٣٣.
النزول ص ٣٢٥. قال ابن حجر: "وهو مرسل أيضاً" فتح الباري ٣٢٧/١٢.

[٩٩] أسباب النزول ص ٢٣٢ وانظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨١/١٠ ، والجامع في أسباب النزول ص ٣٢٥.

[١٠٠] الجامع لأحكام القرآن ١٨٠/١٠ .

[١٠٣] انظر: الجامع لأحكام القرآن ١٨٤/١٠.

قال ابن عمر –رضي الله عنهما- : "فإن كان خوف هو أشد من ذلك صلوا رجالاً قياماً على أقدامهم، أو ركباناً مستقبلي القبلة وغير مستقبليها". قال نافع: "لا أرى ابن عمر ذكره إلا عن رسول الله –ﷺ-"[١٠٤]

فهما حالتان:

حالة الخوف ومواجهة العدو دون التحام القتال؛ وفيها قال تعالى:﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ ...﴾ الآية [النساء: ١٠٢].

وحالة اشتداد الخوف ومواجهة العدو والتحام القتال، فيصلون كيفما كان، وفيها قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة: ٢٣٩].

ثم جاء الحديث عن الطمأنينة وإقامة الصلاة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٣]، وقد اختلف أهل التفسير في المراد بالطمأنينة هنا:

١) فقال بعضهم: المراد بها الاستقرار في الأوطان، والإقامة في الأمصار.

٢) وقال بعضهم: المراد بها زوال الخوف من العدو، وحدوث الأمن لهم.[١٠٥]

وقد رجح ابن جرير –رحمه الله تعالى- القول الثاني، وبيّن سبب ترجيحه بقوله: "وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لأن الله –تعالى ذكره- عرّف عباده المؤمنين الواجب عليهم من فرض صلاتهم بهاتين الآيتين في حالين:

إحداهما: حال شدة الخوف، أذن لهم فيها بقصر الصلاة على ما بينت من قصر حدودها عن التمام.

والأخرى: حال غير شدة الخوف، أمرهم فيها بإقامة حدودها وإتمامها على ما وصفه لهم جل ثناؤه من معاقبة بعضهم بعضاً في الصلاة خلف أئمتهم، وحراسة بعضهم بعضاً من عدوهم وهي حالة لا قصر فيها؛ لأنه يقول جل ثناؤه لنبيه –ﷺ- في هذه الحال: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ فمعلوم بذلك أن قوله: ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ إنما هو: فإذا اطمأننتم من الحال التي لم تكونوا مقيمين فيها صلاتكم فأقيموها، وتلك حالة شدة الخوف؛ لأنه قد أمرهم بإقامتها في غير حال شدة الخوف بقوله: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ [النساء: ١٠٢][١٠٦].

وقال ابن سعدي –رحمه الله تعالى- : "وقوله ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي إذا أمنتم من الخوف، واطمأنت قلوبكم وأبدانكم فأقيموا صلاتكم على الوجه الأكمل ظاهراً وباطناً، بأركانها وشروطها وخشوعها وسائر مكملاتها".[١٠٧]

وعلى هذا فالطمأنينة بزوال شدة الخوف وحدوث الأمن سبب لإقامة الصلاة وجوباً على الوجه الأكمل بأركانها وشروطها وواجباتها وسائر هيئاتها ومكملاتها، وكما أنها سبب لإقامة الصلاة على الوجه الأكمل فهي مطلوبة في إقامة الصلاة أداءً حتى في صلاة الخوف دون حال شدة الخوف؛ لأنها ركن من أركان الصلاة، ومن الأدلة على ذلك ما رواه البخاري ومسلم –رحمهما الله تعالى- عن أبي هريرة –رضي الله عنه-: أن رسول الله –ﷺ- دخل المسجد فدخل رجل فصلى، فسلم على النبي –ﷺ- فرد وقال: «ارجع فصل؛ فإنك لم تصل» فرجع يصلي كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي –ﷺ- فقال: «ارجع فصل فإنك لم تصل» ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق ما أحسن غيره فعلمني فقال: «إذا قمت إلى الصلاة فكبّر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ثم أركع حتى تطمئن راكعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً، وافعل ذلك في صلاتك كلها»[١٠٨].

قال ابن حجر –رحمه الله تعالى-: "واستدل بهذا الحديث على وجوب الطمأنينة في أركان الصلاة، وبه قال الجمهور".[١٠٩] فهذا الحديث يدل على أهمية الطمأنينة في الصلاة وأنها لا تصح بدونها؛ ولذلك أبطل النبي –ﷺ- صلاة الرجل لعدم اطمئنانه فيها، وأما حد الطمأنينة في الصلاة:

فقال بعض العلماء: السكون في كل ركن وإن قل، حتى وإن لم يتمكن من الذكر الواجب.

وقال بعضهم: أن يبقى في كل ركن بقدر الذكر الواجب.[١١٠]

قال ابن عثيمين –رحمه الله تعالى-: "والأصح أن الطمأنينة بقدر القول الواجب في الركن، وهي مأخوذة من اطمأن إذا تمهل واستقر ...

---

[١٠٤] أخرجه البخاري في صحيحه ك: التفسير باب:(فإن خفتم فرجالاً أو ركباناًالفاتحة في كل ركعة ... ١/٢٩٨ / رقم ٣٩٧ . ...)(البقرة الآية: ٢٣٩) ٤/١٦٤٩/٤٢٦١.

[١٠٥] انظر: جامع البيان ٧/٤٤٦-٤٤٧ .

[١٠٦] جامع البيان ٧/٤٤٧-٤٤٨ .

[١٠٧] تيسير الكريم الرحمن ١/٣٩٩ .

[١٠٨] أخرجه البخاري في صحيحه ك: الأذان، باب: حد إتمام الركوع والاعتدال فيه والإطمأنينة ١/٢٧٤/رقم ٧٦٠ ، ومسلم في صحيحه ك: الصلاة باب: وجوب قراءة

[١٠٩] فتح الباري ٢/٣٢٦ .

[١١٠] انظر: الشرح الممتع ٣/٤١٩ ، والموسوعة الفقهية الكويتية ٢٩/٩٠-٩١.

وقال: والحكمة من الطمأنينة أن الصلاة عبادة يناجي الإنسان فيها ربه فإذا لم يطمئن فيها صارت كأنها لعب"[١١١]

وينافي الطمأنينة العجلة في الصلاة ، والاستخفاف بها حتى لا يقيم المصلي ركوعه ولا سجوده ولا جلوسه وهذا الفعل مبطل للصلاة، وقد جعله رسول الله –ﷺ- أسوأ أنواع السرقات كما جاء عن أبي قتادة –رضي الله عنه- قال: قال رسول الله –ﷺ- : «أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته» قالوا: يا رسول الله، وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «لا يتم ركوعها ولا سجودها» ، أو قال: «لا يقيم صلبه في الركوع والسجود» [١١٢].

ففي هذا الحديث بيّن النبي –ﷺ- وبلغة عجيبة أسوأ أنواع السرقة؛ فكأن السرقة نوعان: أحدهما: النوع المتعارف عليه، والآخر: غير متعارف عليه، وهو ما نبه عليه النبي –ﷺ- وأنه أسوأ من الأول لتعلقه بصلاة العبد وفيه عدم العناية بها، والوقوع في الإخلال بها؛ وذلك بسبب عدم الطمأنينة فيها مما يؤدي إلى الإخلال بركوعها وسجودها وعدم خشوعها، فيكون هذا من الخيانة لهذه الأمانة العظيمة وسرقة حق النفس فيها، فيخرج منها ولم يتأثر بها ، أو يستفيد منها، وبالتالي لا يتحقق له ما وعد الله به في مثل قوله –تعالى-: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ولذا تجد بعض المصلين لا أثر للصلاة عليه في أخلاقه وسلوكه وتعامله مع المحيطين به؛ فيسيء معاملة الناس، ويقصر في معاملة أهله وأولاده، وربما وقع في كثير من المعاصي؛ لأنه لم ينتفع بصلاته ولم تؤثر فيه، وكل ذلك بسبب عدم إقامتها ومن اقامتها تحقيق الطمأنينة فيها.[١١٣]

المطلب الثالث

البشارة بالجنة عند الموت

جاء الحديث في القرآن الكريم عن ثمرة من ثمرات الطمأنينة بالإيمان وهي البشارة بالفوز برضوان الله تعالى ودخول جنته، وهذه البشارة أول نعيم يجده المؤمن قبل مغادرته هذه الحياة الدنيا قال الله –تعالى-: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

والنداء هنا للنفس المطمئنة، وقد ذكر أهل العلم أن النفوس في القرآن ثلاث: مطمئنة، وأمارة، ولوامة؛ أما المطمئنة فقد جاءت في هذه الآية: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ وأما الأمارة بالسوء فقد جاءت في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]، وأما اللوامة فجاءت في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١، ٢][١١٤].

والآية الكريمة فيها تمييز للنفس المطمئنة، وأنها النفس المبشرة برضوان الله –تعالى- والفوز بجنته، ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

وقد اختلف في المراد بالنفس المطمئنة هنا:

١) فقيل: الساكنة المؤقنة بأن الله –تعالى- ربها فأخبتت لذلك.

٢) وقيل: الراضية بقضاء الله –تعالى- التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها.

٣) وقيل: المطمئنة: المخلصة.

٤) وقيل: المطمئنة بذكر الله –تعالى- ، بيانه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ٢٨].

٥) وقيل: المطمئنة بالإيمان، المصدقة بالبعث والثواب.

٦) وقيل: المطمئنة لأنها بشرت بالجنة عند الموت، وعند البعث، ويوم الجمع.

٧) وقيل: الآمنة المؤمنة، كما قال –ﷺ- «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير،وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن؛إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»[١١٥]

فهذه أقوال عدة في بيان المراد بالنفس المطمئنة المبشرة بهذه البشارة ولا خلاف بينها؛ لأن هذه الأقوال ذكرت على سبيل التمثيل فهي من خلاف التنوع لكنها تفيد المعنى العام للنفس المطمئنة وهذا على القول بأن الآية عامة.

وذهب بعض المفسرين إلى أنها نزلت في معين بالنظر إلى ما ورد من روايات في سبب نزول هذه الآية الكريمة.

---

[١١١] الشرح الممتع ٤٢١/٣ .

[١١٢] أخرجه أحمد في مسنده ٣١٩/٣٧/ رقم ٢٢٦٤٢ وقال محققوه: حديث صحيح.

[١١٣] انظر: موقع إسلام ويب الفتوى رقم ٣٩٦٣ تاريخ النشر: الأربعاء ١٣ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١/٧/٤م.

[١١٤] انظر: تفسير القرآن الكريم – جزء عم – ص ٥٣ .

[١١٥] أخرجه مسلم في صحيحه – ك: الزهد والرقائق – باب: المؤمن أمره كله خير ٢٢٩٥/٤/ رقم ٢٩٩٩.

١) فعن الضحاك عن ابن عباس: أنها نزلت في عثمان بن عفان –رضي الله عنه- لما تصدق ببئر رومة.[١١٦]

٢) وعن بريدة أنها نزلت في حمزة –رضي الله عنه- حين قتل.[١١٧]

٣) وقيل: نزلت في خبيب بن عدي –رضي الله عنه- لمّا صلبه أهل مكة.[١١٨]

ولا تعارض بين القولين وتحمل على العموم عملاً بقاعدة "العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب". قال القرطبي –رحمه الله تعالى- "والصحيح أنها عامة في كل نفس مؤمن مخلص طائع، قال الحسن البصري –رحمه الله تعالى-: إن الله تعالى إذا أراد أن يقبض روح عبده المؤمن اطمأنت النفس إلى الله تعالى واطمأن الله إليها".[١١٩]

متى يقال لها ذلك؟

اختلف أهل التفسير في ذلك:

١) فقيل: يقال لها ذلك عند الموت؛ فيقال لها: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ أي إلى الله ﴿ راضية ﴾ بالثواب ﴿مرضية﴾ عنده عنك.

٢) وقيل : يقال لها هذا عند خروجها من الدنيا ﴿ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾. فإذا كان يوم القيامة قيل ﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾.

٣) وقيل: إنما يقال لها ذلك عند البعث: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ أي: صاحبك وجسدك، فيأمر الله الأرواح أن تعود إلى الأجساد.[١٢٠]

قال ابن سعدي –رحمه الله تعالى- : "وهذا تخاطب به الروح يوم القيامة، وتخاطب به وقت السياق والموت".[١٢١]

ومعنى ﴿فادخلي في عبادي﴾ أي: ادخلي في عبادي الصالحين من جملتهم؛ لأن الصالحين من عباد الله الذين أنعم الله عليهم هم خير طبقات البشر.

والبشر طبقات ثلاث: منعم عليهم، ومغضوب عليهم، وضالون، وكل هذه الطبقات مذكورة في سورة الفاتحة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ ، ٧][١٢٢].

والمراد بالجنة في الآية: دار الخلود التي هي مسكن الأبرار، ودار الصالحين والأخيار الذين أنعم الله عليهم.[١٢٣]

من القائل لها ذلك ؟

١) قيل: هو من كلام الله –تعالى- فإذا كان كذلك كان قوله ﴿إلى ربك﴾ إظهاراً في مقام الاضمار بقرينة تفريع ﴿فادخلي في عبادي﴾ عليه، ونكتة هذا الاضمار ما في وصف "رب" من الولاء والاختصاص، ومافي إضافته إلى ضمير النفس المخاطبة من التشريف لها.

٢) وقيل: من قول الملائكة؛ فإن كان كذلك كان قوله ﴿ربك﴾ جار على مقتضى الظاهر، وعطف ﴿فادخلي في عبادي﴾ عطف تلقين يصدر من كلام الله –تعالى- تحقيقاً لقول الملائكة ﴿ارجعي إلى ربك﴾ والرجوع إلى الله مستعار للكون في نعيم الجنة التي هي دار الكرامة عند الله بمنزلة دار المضيف قال –تعالى-: ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ [القمر: ٥٥] بحيث شبهت الجنة بمنزل للنفس المخاطبة لأنها استحقته بوعد الله –تعالى- لها على أعمالها الصالحة فكأنها كانت مغتربة عنه في الدنيا فقيل لها: ارجعي إليه، وهذا الرجوع خاص غير مطلق الحلول في الآخرة.[١٢٤] فهذه ثمرة من ثمرات الطمأنينة بالإيمان أن تبشر النفس المطمئنة به بالفوز بالجنة ورضوان الله -تعالى-، وهي من أعظم الثمرات لتعلقها بختام حياة المؤمن في هذه الدنيا، ثم ما يترتب عليها بعد ذلك حتى دخول الجنة في الآخرة.

المطلب الرابع

إرسال الرسل من البشر

إن من ثمرات الطمأنينة إرسال الرسل من البشر وذلك لأهمية حصول الطمأنينة بين الرسول والمرسل إليه في تحقيق الغاية من الرسالة وهي حصول الإيمان وعبادة الله –تعالى- كما قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

---

[١١٦] أورده ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤٣٠/١٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤٢٧/١٥ معزواً إليه، وجاء كذلك في أسباب النزول ص ٥٤٣ وفي حاشيته: جويبر ضعيف جداً، والضحاك لم يسمع من ابن عباس.

[١١٧] أورده ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٤٣٠/١٠ ، والسيوطي في الدر المنثور ٤٢٧/١٥ معزواً إليه وإلى ابن المنذر ، وفي الجامع في أسباب النزول ص ٥٤٣.

[١١٨] انظر: الجامع لأحكام القرآن ٥٩/٢٠.

[١١٩] الجامع لأحكام القرآن ٥٨/٢٠ .

[١٢٠] انظر: جامع البيان ٣٩٤/٢٤-٣٩٨ ، ومعالم التنزيل ٤٨٦/٤-٤٨٧ ، والجامع لأحكام القرآن ٥٨/٢٠-٥٩ ، وتيسير الكريم الرحمن ٤١٤/٥-٤١٥.

[١٢١] تيسير الكريم الرحمن ٤١٥/٥ .

[١٢٢] انظر: تفسير القرآن الكريم – جزء عم – ص ٢١١.

[١٢٣] انظر: الجامع لأحكام القرآن ٥٩/٢٠ .

[١٢٤] انظر: التحرير والتنوير ٣٤٠/٣٠-٣٤١ .

[الذاريات: ٥٦] فتحقيق هذه الغاية وهي العبودية يتطلب الطمأنينة التي تحصل بالملائمة بين الرسول والمرسل إليه.

قال الله –تعالى- عن الكفار: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤) قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء : ٩٤ ، ٩٥) فهؤلاء يقولون جهلاً منهم وتعنتاً: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ أي: لن نؤمن لك يا مُحَمَّد لأنك بشر، وهلا بعث الله إلينا ملكاً فأجابهم الله –تعالى-: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ فجاء مدار الجواب على وجود الطمأنينة أي : مستوطنين مقيمين ساكنين في الأرض يثبتون على رؤية الملائكة والتلقي عنهم لأنهم من جنسهم ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ لأن القلب إلى الجنس أميل منه إلى غير الجنس؛ فلو كان سكان الأرض ملائكة لأرسل الله إليهم رسولاً من جنسهم، أما وأن الذين يسكنون الأرض بشر فرحمة الله وحكمته تقتضي أن يكون رسولهم من جنسهم.[١٢٥]

فمفهوم الآية أنه لما كان من يعيش على الأرض مطمئناً هم البشر أرسل الله إليهم رسولاً منهم حتى يسهل التلقي عنه والتواصل معه؛ قال ابن عاشور –رحمه الله تعالى- : "ولما كان المشي والاطمئنان في الأرض من صفة الإنسان آل المعنى إلى لو كنتم ملائكة لنزلنا عليكم من السماء ملكاً، فلما كنتم بشراً أرسلنا إليكم بشراً مثلكم".[١٢٦]

فمن ثمرات الطمأنينة والتي من معانيها هنا : الاستيطان والإقامة والسكنى في الأرض إرسال الرسل من البشر إلى أهل الأرض لأنهم ؛ هم سكانها والمستقرون عليها والساكنون فيها، وهذا مما يرد به على أولئك المنكرين إرسال مُحَمَّد ﷺ وهو من البشر كما اعترض الأقوام قبلهم على الرسل والأنبياء بأنهم بشر، لا فضيلة لهم عليهم في خلق ولا رزق ولا حال، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فهلّا بعث إلينا ملكاً قال –تعالى-: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤].[١٢٧] فجاء الجواب ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٥]. وهذا الجواب الذي لقنه رسول الله ﷺ في الآية عُد من خصائصه ﷺ دون من سبقه في اجتثاث هذه الشبهة؛ قال ابن عاشور –رحمه الله تعالى-: "فاختص الله مُحَمَّداً –ﷺ- باجتثاث هذه الشبهة من أصلها اختصاصاً لم يلقنه من سبق من الرسل؛ فإنهم تلقوا تلك الشبهة باستنصار الله –تعالى- على أقوامهم؛ فقال عن نوح: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:١١٧ ، ١١٨] وقال مثله عن هود وصالح، وقال عن موسى وهارون ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٨] فقد ادخر الله لرسوله –ﷺ- قواطع الأدلة على إبطال الشرك وشبه الضلالة بما يناسب كونه خاتم الرسل؛ ولهذا قال في خطبة الوداع: «إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما دون ذلك مما تحقرون من أعمالكم»[١٢٨][١٢٩]

هل هذا يعني أنه لا يرسل البشر إلى غيرهم ؟

الآية تدل على أنه لا يرسل إلى البشر رسول من غيرهم، ودلت نصوص الكتاب والسنة على أنه يمكن أن يكون البشر رسولاً إلى غير البشر؛ فقد كان النبي –ﷺ- رسولاً إلى الإنس والجن؛ لأنه يمكنهم تلقي الوحي عنه وفهم الخطاب منه كما قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢].[١٣٠]

قال ابن تيمية –رحمه الله تعالى- : "يجب على الإنسان أن يعلم أن الله –عز وجل- أرسل مُحَمَّداً –ﷺ- إلى جميع الثقلين الإنس والجن، وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته... وأن كل من قامت عليه الحجة برسالة مُحَمَّد – ﷺ – من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله –تعالى- كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول، وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين، وسائر طوائف المسلمين: أهل السنة والجماعة وغيرهم –رضي الله عنهم أجمعين- ، لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل مُحَمَّداً –صلى الله عليه وسلم- إليهم".[١٣١]

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله ، وصحبه ومن والاه وبعد:

ففي ختام هذا البحث يمكننا إجمال أهم النتائج فيما يلي:

---

[١٢٥] انظر: معالم التنزيل ١٣٨/٣ ، ومفاتيح الغيب – التفسير الكبير – ٤١٠/٧.

[١٢٦] التحرير والتنوير ٢١٣/١٥ .

[١٢٧] انظر: مفاتيح الغيب ٤١٠/٧ ، وموقع بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام بعنوان: "إنكار بشرية الرسول –ﷺ– والتعجب من إرسال رسول من البشر"

[١٢٨] أخرجه مسلم في صحيحه – ك: صفات المنافقين وأحكامهم. باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس ٢١٦٦/٤/ رقم ٢٨١٢.

[١٢٩] التحرير والتنوير ٢١٢/١٥.

[١٣٠] انظر: التفسير المنير ١٧٢/١٥ .

[١٣١] مجموع فتاوى ابن تيمية ٩/١٩-١٠ (باختصار).

١) أن الطمأنينة من أهم أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، وقد تم إثبات هذا والتدليل عليه في هذه الدراسة.

٢) أن الطمأنينة في القرآن الكريم نوعان: طمأنينة محمودة، وأخرى مذمومة، وأن المحمودة ذكرت في أحد عشر موضعاً، بينما ذكرت المذمومة في موضعين كما ورد بيانه في بحثنا هذا.

٣) أن للطمأنينة المحمودة خمسة أسباب وردت في القرآن الكريم وهي: (١- العلم. ٢- صدق الرسل –عليهم السلام-. ٣- ذكر الله –تعالى-. ٤- إمداد المؤمنين بالملائكة عند القتال. ٥- الأمن في الأوطان).

٤) أن للطمأنينة المحمودة أربع ثمرات وردت في القرآن الكريم وهي: (١- سلامة إيمان من أكره على الكفر. ٢- إقامة الصلاة. ٣- البشارة بالجنة عند الموت. ٤- إرسال الرسل من البشر).

٥) أن معرفة أسباب الطمأنينة وثمراتها مما يعين الأطباء والأخصائيين النفسيين على معالجة مرضاهم في ضوء القرآن الكريم ، وقد ورد بيان ذلك في ثنايا مباحث ومطالب هذا البحث.

وفي الختام أوصي الباحثين بمزيد عناية بالتفسير الموضوعي، وتسليط الضوء على الموضوعات المتعلقة بحياة الإنسان ودراستها في ضوء القرآن الكريم؛ سائلاً الله –تعالى- القبول ، وأن ينفعني بهذا البحث وأن ينفع به من قرأه أو اطلع عليه، وأن يتجاوز سبحانه عن الخلل والتقصير، وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- القرآن الكريم.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم – تفسير أبي السعود - للإمام أبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
- أسباب النزول للإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. تحقيق: د. السيد الجميلي – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة السادسة ، ١٤١٤ – ١٩٩٤م.
- التبيان في أقسام القرآن. للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: مُحَمَّد العرب، المكتبة العصرية – صيدا، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- التحرير والتنوير. للشيخ الطاهر ابن عاشور – دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.
- التعريفات. للعلامة علي بن مُحَمَّد الجرجاني، مكتبة لبنان – ساحة رياض الصلح – بيروت ١٩٨٥م.
- تفسير القرآن العظيم. للإمام ابن كثير – تحقيق: مصطفى السيد مُحَمَّد وآخرين – دار عالم الكتب – الرياض – المملكة – الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين – للإمام عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن أبي حاتم. تحقيق: أسامة مُحَمَّد الطيب – مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة – المملكة – الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- تفسير القرآن الكريم. للشيخ عبدالعزيز المسند، دار ابن الجوزي – الدمام – المملكة – الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ.
- تفسير القرآن الكريم – سورة البقرة – للعلامة مُحَمَّد العثيمين، دار ابن الجوزي – الدمام – المملكة – الطبعة الأولى صفر ١٤٢٣هـ.
- تفسير القرآن الكريم – سورة آل عمران – للعلامة مُحَمَّد العثيمين، دار ابن الجوزي – الدمام – المملكة – الطبعة الأولى – رمضان ١٤٢٦هـ.
- تفسير القرآن الكريم – سورة المائدة – للعلامة مُحَمَّد العثيمين – دار ابن الجوزي – الدمام – المملكة – الطبعة الثانية ١٤٣٥هـ.
- تفسير القرآن الكريم – سورة النور – للعلامة مُحَمَّد العثيمين، مؤسسة الشيخ مُحَمَّد بن صالح العثيمين الخيرية – القصيم – المملكة – الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.
- تفسير القرآن الكريم – جزء عم – للعلامة مُحَمَّد العثيمين – دار الثريا – الرياض – الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. للأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي – دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- تلبيس إبليس. للإمام ابن الجوزي – دار القلم – بيروت – لبنان.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. للشيخ عبدالرحمن السعدي، تقديم: مُحَمَّد زهري النجار، دار المدني – جدة – ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن. للإمام أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري – تحقيق: د. عبدالله التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الجامع في أسباب النزول . جمعه: حسن عبدالمنعم شلبي، وخرج أحاديثه: موفق منصور – مؤسسة الرسالة – دمشق – الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- الجامع لأحكام القرآن. للإمام أبي عبدالله مُحَمَّد بن أحمد الأنصاري القرطبي – بدون.
- دع القلق وابدأ الحياة – ديل كارنيجي – ترجمة: د. زينب منصور حبيب – الأهلية للنشر – المملكة الأردنية – عمَّان – الطبعة الثانية ٢٠٠٩م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للحافظ جلال الدين السيوطي – تحقيق: د. عبدالله التركي بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية – الطبعة الأولى – القاهرة ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. للإمام أبي الفضل شهاب الدين الألوسي – تحقيق: مُحَمَّد أحمد الأمد وعمر عبدالسلام – دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- زاد المسير في علم التفسير. للإمام ابن الجوزي – تحقيق: مُحَمَّد بن عبدالرحمن عبدالله – دار الفكر – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد. للإمام ابن قيم الجوزية – تحقيق: شعيب وعبدالقادر الأرنؤوط – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الخامسة عشرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- سنن الترمذي – الجامع الصحيح – للإمام أبي عيسى الترمذي – تحقيق: كمال يوسف الحوت – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- سنن ابن ماجه. للحافظ أبي عبدالله مُحَمَّد بن يزيد القزويني، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي – دار الحديث – القاهرة.
- السنن الكبرى للإمام البيهقي. ضبط وتقديم: أبو عبدالله عبدالسلام علوش – مكتبة الرشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٢٥ – ٢٠٠٤م.
- الشرح الممتع على زاد المستقنع. للشيخ مُحَمَّد العثيمين – عناية وتحقيق: د. سليمان أبا الخيل ود. خالد المشيقح – مؤسسة آسام – الرياض – المملكة – الطبعة الثانية ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري – تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار – دار العلم للملايين – بيروت – لبنان – الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- صحيح البخاري. للإمام أبي عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري – تحقيق: د. مصطفى ديب البغا – دار ابن كثير – دمشق – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته. للشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني - إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت – دمشق – الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- صحيح سنن الترمذي باختصار السند. للشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني – إشراف: زهير الشاويش. مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- صحيح سنن ابن ماجه باختصار السند. للشيخ مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش – مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض – الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- صحيح مسلم. للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج. تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ضعيف سنن الترمذي. ضعف أحاديثه: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني ، إشراف: زهير الشاويش – مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض، المكتب الإسلامي – بيروت، دمشق، عمان، - الطبعة الأولى – ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- عالم الملائكة الأبرار. تأليف: د. عمر سليمان الأشقر – مكتبة الفلاح – الكويت – الطبعة الثالثة – ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- غريب القرآن المسمى "نزهة القلوب" للإمام مُحَمَّد بن عزيز السجستاني – الناشر: مُحَمَّد علي صبيح وأولاده – لعام ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.
- فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري – للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرين – المكتبة السلفية – القاهرة – الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن – للإمام أبي اسحق أحمد بن مُحَمَّد الثعلبي، تحقيق: د. خالد بن علي الغامدي ، دار التفسير – جدة – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- لسان العرب. للإمام ابن منظور – تحقيق: علي شيري – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – جمع وترتيب: عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم وابنه مُحَمَّد – مكتبة ابن تيمية لطباعة ونشر الكتب السلفية.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. للإمام ابن عطية – تحقيق: الرحالة الفاروق وآخرين – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر – الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- مدارج السالكين في شرح منازل السائرين. للإمام ابن قيم الجوزية – تحقيق: الداني بن منير آل زهوي – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: د. عبدالله التركي وآخرين، مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- معالم التنزيل – تفسير البغوي – للإمام البغوي. تحقيق: خالد العك ومروان سوار – دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- معجم مقاييس اللغة. للإمام أبي الحسين أحمد بن فارس – تحقيق: إبراهيم شمس الدين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. وضعه: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي – دار الأندلس – بيروت – لبنان.
- المعجم الوسيط. قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون – المكتبة الإسلامية – استانبول – تركيا.
- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير – للإمام الفخر الرازي، مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي – الطبعة الثانية ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- مفتاح دار السعادة. للإمام ابن قيم الجوزية – تحقيق: مُحَمَّد أحمد عيسى – دار الغد الجديد – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
- المفردات في غريب القرآن – للإمام أبي القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني – تحقيق: مُحَمَّد سيد كيلاني – دار المعرفة – بيروت.
- الموسوعة الفقهية. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت – الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- النكت والعيون. للإمام أبي الحسن الماوردي – تحقيق: السيد عبدالمقصود – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب. للإمام ابن قيم الجوزية – تحقيق: رضى فرج الهمامي – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز. للإمام الدامغاني – تحقيق: مُحَمَّد حسن أبو العزم، لجنة إحياء التراث بجمهورية مصر العربية – القاهرة – ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

المواقع الاليكترونية:

- موقع بيان الإسلام للرد على شبهات حول الإسلام.

موقع إسلام ويب، فتوى رقم ٣٩٦٣ ، الأربعاء ١٣ ربيع الآخر ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١/٧/٤م.

Peacefulness in the Holy Quran

Objective Study

Abstract

Praise be to Allah the Lord of the worlds and may the blessings and peace of Allah be upon the most honored of messengers our master Muhammad and upon all his family and companion :

This study investigated the topic of "Peacefulness in the Holy Quran " : by pursuing the Quran verses in which the term "Peacefulness" was cited in its polysemous diversified meanings and how it is comes to fruition at human's life and heeding attention to its warranted reasons and its outcomes yielded as was cited in the Holy Quran . No less important, the study reached definite conclusion, that is, peacefulness is dichotomized into graced and disgraced peacefulness . To settle on the graced peacefulness, five reasons were cited at the first investigative approach which yielded many fruits, the most prominent of which are four ones which are specifically interlaced with all strands of human's life . Significantly enough, these fruits were thoroughly investigated at the second investigative approach of this study . Furthermore, the study reached five definite conclusions included into the research conclusion . Eventually, the study recommended for the researchers to look thoroughly into the objective interpretation and shedding light on the topics pertaining to the human's life which have to be studied in the light of The Holy Quran .

Praise be to *God*, and blessings and peace upon the *messenger*, and his ... and peace be upon our *prophet* Mohammed, his family and his *companions*.

KeyWords : Quran – Peacefulness – Tranquility - - Security – Objective interpretation

.